

العدد الأول

العدد السابع

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
والطبيب
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ من ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

صاحب الإصدار

ورئيس التحرير

سيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

يونيه سنة ١٩٥٢

رمضان سنة ١٣٧١

هذا القرآن

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيْلِ هِيَ أَفْوَمٌ »

الصيام والقرآن:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ

اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

ليس من غرضي أن أبين أحكام الصوم في هذه الكلمات ، بل الغرض منها الإلمام ببعض المعاني التي قد تخطر بالبال عندما يوافقنا شهر رمضان المبارك في كل عام .

كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ؛ فجعل الله تبارك وتعالى الصيام أصلاً من أصول الديانات كلها على خلاف في كفيته . وليس الغرض من الصيام — في ظني — إذلال النفس بكمها عن المأكل والشرب واللذات ، بل الغرض منه رفع النفس الإنسانية عن شهواتها وتهيتها لهظام الأمور وتعويدها الصبر والاحتمال ؛ لذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم كلما همّ بغزوة من الغزوات توطئاً لنفسه الشريفة على احتمال ما يلاقيه في سبيلها ، وتقرباً إلى الله تعالى بالطاعة ، وإرشاداً للمسلمين إلى سلوك سبيل الاستعداد لاحتمال الشدائد . وليس في ذلك إذلال للنفس ، بل فيه إثبات لعظمتها وقدرتها على التغلب على الحاجات والأهواء والغلب على المعاصي والمكرات . والنفس الدليلة هي التي تقارف المكرات ، وأما النفس العظيمة فهي التي تعمل عليها ولا تتزل إليها .

وليس الصيام هو الكف عن الطعام والشراب ، وما أحلّ للإنسان من طيبات أخرى ، بل هو — فيما أعتقد — كف عن جميع المحرمات من قول وعمل ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه من أجله » . فالله تعالى ليس في حاجة إلى أن ندع طعامنا وشرابنا من أجله إذا كذبنا أو اغتبننا أو سخرنا بغيرنا أو وعدنا فأخلفنا أو نظرنا نظرة سوء أو استقر الباطل في أنفسنا أو قصرنا في واجب أو تجاوزنا الحق في حكم . . . إلى غير ذلك مما تشمر النفس بأنه معصية ، وإنما جعلته عادة أمراً مباحاً أو كالإباح .

وهذا تدريب على الخلق الفاضل والحياة الطاهرة ؛ فإذا لزم الإنسان مدة شهر كل سنة هذا الخلق وهذه الحياة كان خليقاً ألا ينحرف عن ذلك في سائر الأيام ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وقد رأى بعض الفقهاء من الحديث السابق ذكره ، ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل عمل آتى على غير أمرنا فهو رد » أن ارتكاب أي معصية مهما صغرت وهانت في نظر مرتكبها تبطل الصوم .

في الصيام ما يعلم الناس وما لا يعلمون من فوائد طيبة مازال الطب الحديث يكشف عنها . ولست أقول ذلك لأبحث فيها ، فليس ذلك من شأني ، وإنما ألفت النظر إليها لأبين أن الله يعلم من أمورنا ما لا نعلم ، وقد فرض علينا من الفروض ما هو في غنى عنه ، وإنما فرضه لمصلحتنا دون أن نعرف الفوائد التي تعود علينا منه ؛ فإذا أثبت الطب فائدة للفرض فكم من فوائد خفيت على الطب وتحققت بأداء الفروض دون أن يدركها الإنسان . فالفروض التي أمر الله تعالى بها علاج لتصحح النفوس والأبدان يجب علينا أن نتقبلها ونؤديها من غير نظر إلى ما يكشفه الطب من فوائدها ، فهو يكشف عن شيء وتغيب عنه أشياء ، وإنما يعلم ذلك الذي خالق كل شيء فقدره تقديراً .

من أنواع الطاعات التي يأتيها المسلمون في رمضان الإكثار من تلاوة القرآن . والقرآن خليف بأن يكون إمام المسلم في كل وقت وخصوصاً في رمضان . ولكننا نقرؤه على نحو لا يؤدي للفرض المقصود منه . وبعض الناس يفرضون على أنفسهم قراءة قدر منه كل يوم حتى إذا مر الشهر كان قد ختمه كله مرة أو مرات ثم طوى المصحف بعد ذلك فلا يعاود قراءته أو يعاودها بلا نشاط . وهو في كل ذلك يمر على ما يقرأ مرأً سريعاً لا يكاد يفقه لما يقرأ معنى ، أو لا يدرك إلا معنى القليل منه . .

وليست العبرة في التلاوة بمقدار ما يقرأ المرء ، وإنما العبرة بمقدار ما يستفيد ؛ فالقرآن لم ينزل بركة على الرسول عليه السلام بالمعاني مجردة عن المعاني ، بل إن بركة القرآن في العمل به ، واتخاذ نهجاً في الحياة يضيء سبيل السالكين ، فيجب علينا حين نقرأ القرآن في رمضان أو في غير رمضان أن يكون قصدنا من التلاوة أن نحقق المعنى المراد منها ؛ وذلك بتدبر آياته وفهمها والعمل بها .

وكان صحابة رسول الله عليه السلام لا يقرأون من القرآن إلا عشر آيات لا يجاوزونها إلى غيرها حتى يفهموها ويعملوا بما فيها ، فإذا لو نهجنا نهجهم وسلطنا مسلكهم ؛ فإن في القرآن آيات إذا تدبرها الإنسان وعمل بها خرج من بيته ملاكاً طاهراً وعاد إليه ملاكاً طاهراً . ومن أسب ما يتدبره الصائم هذه الآيات :

« وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ

مُسْتَقْرًا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا مُرَّةَ آعِينِ وَأَجْمَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْفُرْقَةَ الَّتِي صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا نَجْمَةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقْرًا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَغْنَبُ بَكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ^(١)

« صدق الله العظيم »

سباسة

« رَبُّ غِيظِ ثَجْرَتِهِ نَخَابَةٌ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ »

« الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ »

بين يدي رمضان

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » .

روى الشيخان رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا جاء
رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » .
وتلك حقائق جليلة القدر ، إذا تأملها الإنسان سرح خاطره في آفاق خطيرة من
علم الله وغيبه وسمياته لا طاقة له بإدراك كائناتها ولا تصور شيء من هيئاتها !
وقد اعتاد بعض الناس أن يمرروا بهذا الحديث الجليل وأمثاله مروراً عابراً ، كأنما
يمرون بعمان عادية لا تستوقف الخاطر ولا تستلقت النظر ؛ مع أن الرسول عليه السلام
لو لم يقررها لفنيت الأجيال ، وانقطعت الأعمار ، وانحسرت العقول دون تحصيل
لمحة واحدة من حقائقهما ؛ فكان الناس استغنوا عن فضل الله وما يقبل به على عباده
في مواسمه من منن ومغانم وفتحات فيها كل التوسعة على أرواحهم في عالمهم هذا الضيق
المادى المخلوق ! .

إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة فلا تغلق الشهر كله . . ومعنى ذلك أنها كانت
مغلقة قبل حلوله ! .

وإذا جاء رمضان غلقت أبواب النار ، فلا تفتح الشهر كله . . ومعنى ذلك أنها كانت
مفتحة الأبواب قبل حلوله ! .

فلو أن لنا بصائر تدرك مافي ملكوت الله من كائنات لطيفة دقيقة خفية ، لأدركت
طرفاً من سر الجحيم يسرى في ضمير هذا الوجود من قبل تلكم الأبواب المفتحة في
سائر شهور العام ! . . ولو أن لنا بصائر تدرك ، لأدركت مافي سريرة الكون من لفحة ،
وما لأرواح المؤمنين في أبدانهم المادية من استشراف لمرّة الهلال المبارك ، تقبل عليهم
بريح الرخاء والسعة ، مؤذنة بعيد تصطفق له أجنحة الأرواح سروراً وبهجة . . ولعلوا
حقيقة معنى الأثر الكريم : « لو تعلم أمتى ما في رمضان من الخير لئنحت أن يكون
رمضان العام كله ! » .

ولكن مشاعر الناس غلقت بظواهر الحياة الدنيا لا بضمير الوجود . . ووعبهم وصل
بكيانهم المادى لا بمدركات كائناتهم الروحية الدقيقة ؛ فهم يسمعون الكلام القدسي

أو يقرءونه دون أن تخلج فيهم خالصة فتهتم أو تأثر بما يقرءون أو يسمعون !

إننا في رمضان يازاء عيد محجب قد بين أعياد الله ، وإن في إغلاق أبواب النار وفتح أبواب الجنة لمعنى عظيماً من إقبال الله سبحانه إقبالاً لم يتشرف بمثله عيد سواه ! ! وإن من هذا العجب الذي لا تقف نفحاته وأسرارها عند حد أن ليلة واحدة من لياليه ترجع في ميزان الحق ليالي ألف شهر من الشهور الأخر . . . ترجعها لا لأن أديعها رصع بئاس ولؤلؤ ، أو حلى بذهب وفضة ، ولكن بما يكون فيها مما يحير الألباب ، ويدهش الأنظار ، إذ تغدو أرضنا هذه وقد نصب فيها عيد قدسى من إقبال الله وتجليه ، وما يندق من رحماته ونفحاته ، حتى إن الملائكة لهوى نفوسها إلى غشيان هذا العيد والمشاركة في بهجته ونفحته ، فتستأذن ربها والروح فيها بإذنه من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر ! !

لقد جاءت السنن الصحيحة بثواب من صام رمضان إيماناً واحتساباً !

وجاءت بثواب من قام رمضان إيماناً واحتساباً !

وجاءت بثواب من قام ليلة القدر . . . وثواب من بسط كفه سحاً بالخير والصدقة للفقراء . . . ولكن لنا وراء ذلك كله مأرباً بل مأرب ! !

لنا وراء ذلك بصائر من النور نريد إدراكها بقلوبنا . . . ومدداً من عزائم الرشد نريد تحصيله لهممنا ونفوسنا ، فنحن أمة تقوم في بيداء هذا العالم تجاهد للتحرير ، وتدعو أن تكون كلمة الله هي العليا ؛ فما لم يهب لنا من لدنه سلطاناً نصيراً فمن لنا بالنصير ؟ وما لم يجعل لنا من نوره نورا فأنى نلتصق ذلك النور ؟ !

إننا أمة غلبت علينا شهوتنا ، فعبدناها ، وتفرقنا في محاريبها الحسبية نعبد المال ، والبنين ، والنساء ، والجاه ، والإثم ، والرياسة ، والمجد الدني ، الكاذب ، فضغفت نفوسنا ؛ ودب الوهن إلى همم السكبار فتنا والصغار ، وصاروا مسوخاً رخوة تلعب بها الشهوة ويطير بها الهوى في كل واد . . . وها نحن أولاء يازاء عيد روحى وفرصة لا يتيحها لنا الله إلا كل عام ، فيها اللدد لمزائنا ، وفيها النور لبصائرنا ، وفيها القوة لنفوسنا ، فهل تقبل عليها إقبالاً يكافئ ما أقبل به سبحانه فيها من فضل ونعمة وشفاء ورحمة ؟

لقد أمر سبحانه بالجنة ففتحت ، وبالنار فأغلقت ، وبالشياطين فصغدت ! ! فماذا بقي علينا لإدراك فضله سبحانه ، والتخلص من سموم الإثم والهوى ؟ . . . هل بقي على كل منا

إلا نفسه التي بين جنبيه يعالجها باليسير من الجهد ، وما أهونها وأضعفها بعد أن زال عنها عون قرينها المصنف في الشياطين ! !

لأمر ما ، وحكمة جلية ، فرض الله عز شأنه علينا أن نصوم رمضان ١ فهل لنا أن نلتمس في جوانب تلك الحكمة أن ذلك الصيام أريد به فيما أراد الله سبحانه أن يكون هو المجهود الذي يقبل به المرء على نفسه فيؤدبها به ويصفيها عن شهواتها كما صفت الشياطين فإذا سرائر المؤمنين قد زال عنها كل ضباب ، وصار لا يحجبها عن فضل الله ونوره حجاب ؟ !

وهل لنا أن نستأنس لذلك بما علمنا إياه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن الصيام الحق لا يكمل إلا بترك ما اعتادت النفس أن تلم به من هوى وإثم . . . « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (١) « وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم » (٢) . . . وما أعمق ما يقول الله في الحديث القدسي عن الطعام والشهوة : « ... إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي » (٣) .

ونحب أن نقول إن خصائصنا الروحية إنما نحيا وتنمى في جو قدسي تراوحه وتغاديه أسرار النور والحياة ، وليس الإنسان في الحقيقة سوى تلك الخصائص ؛ فإذا انصرف إلى شهواته الدنيا ، وأدار أعماله وأقواله على تلك المحاور ، فقد أفنى نفسه وحس في غير حياة ، وليس كالشهوات ماحقاً لصفاته معطلا لخصائصه الأصيلة . . .

فصوم رمضان من هذا الوجه إن هو إلا منهاج يتدرب به المرء على تحرير نفسه والانسحاب بها من أسر المادة وظلمة الشهوة ، ليحيا ما شاء الله في ملكوت الحياة الحق ويكون له ما شاء الله من خصائص الخير والفضيلة .

فالحرية الصحيحة لا يذوقها ولا يقدرها قدرها إلا من حي هذه الحياة .

والنفس الكريمة القوية التي يؤمن عليها ، ألا تلين أمام مساومات المادة إنما تستمد عناصرها ومقوماتها من هذا الأفق العلوي الكريم ، والروح الأبى الذي يرفض الضيم ويتأبى على الدل ، ويجاهد الطاغوت ، ويسعى في إقامة الأوضاع العادلة إنما ينتشق عبر هذا كله من هذا العالم المملوكoty الطهور . . . وكما أن ذلك عزمة على الرشد وتوفيقاً إلى الخير وهداية إلى الصواب ! !

قصص القرآن

آدم عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهي الخولي

(٦)

آفاق الإنسان :

روى أحمد ومسلم رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق الإنسان مما وصف لكم »

لم نزل بعد بصدد « تكوين الإنسان » أو بصدد ذلك التقويم الروحي المادي الذي قدر الله سبحانه أن يسوي عليه هذا الكائن الممتاز في صفات خلقه ومشاعره وإدراكه وعقله المعجز الخطير !

لم نزل — بعد — بصدد الطواف حول ذلك المعنى الكبير ، نحاول الإلمام بجوانبه وآفاقه وعناصره التي قدر الله أن يتألف منها ؛ وهي آفاق تمتد أمامنا كلما أبعدنا النظر والتأمل في قصة أبي البشر عليه السلام . .

ولو قدر للإنسان أن يعيش في هذه الأرض منظوياً على نفسه ، لا يتصل بشيء من حقائق هذا الكون ، ولا يتصل به شيء من تلك الحقائق لألقينا أنفسنا بإزاء أفق محصور ، وكائن مغلق عما حوله ، لا يمتاز في إدراكه ومواجهته عن أي بهيمة مطحوسة . . ولكن القصة الكريمة تطالع بصائرنا بغير ذلك ؛ تطالعنا — كلما أطلنا التدبر — بشواهد خطورة الإنسان وماله من شأن أي شأن في هذا الوجود !

ولقد وقفنا فيما سبق وقفة قصيرة عند قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من خمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم » وقلنا إن الله سبحانه فرق بين الخما المسنون الذي خلق منه الإنسان ، ونار السموم التي خلق منها الجان ، وهو لا يريد إفادة الخبر أو تقرير الحكم فحسب ؛ بل يريد إلى ذلك لفت الأنظار

إلى المقابلة بين أفقين متضادين : أحدهما محسوس ، والآخر غير محسوس ؛ ليرشح الأذهان لاستقبال ما يأتي في بقية القصة من النص على اتصال البشر بهذا الأفق غير المحسوس ، واتصال هذا الأفق غير المحسوس به ... وهو اتصال لن يتيسر ، ولن يتأتى إلا إذا كان في طبيعة الإنسان مرونة تجعله يتصل أو يطل من خلال جبريته على ذلك الأفق الغيبي الخطير !

ولقد جعلنا في صدر هذا الكلام حديثاً صحيحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه النور الذي خلقت منه الملائكة ، والنار التي خلق منها الجان ، ويشير إلى الأصل الذي خلق منه الإنسان ... وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي بذكر هذه الثلاثة في سياق واحد إلى أكثر من إفادة الخبر وتقرير الحكم ، فإننا نرى فيه بعثاً للأذهان أن تقابل بين عالم الملائكة وعالم الجان ؛ أو عالم النور وعالم النار ... وبما يعين على هذه المقابلة أن الرسول عليه السلام لم يصرح إلى جانب هذين الأصلين بالأصل الذي خلق منه الإنسان ؛ بل سكت عنه واكتفى بقوله : « وخلق الإنسان مما وصف لكم » وتركنا بإزاء النور والنار وحدهما لشم المقارنة ... والمقابلة في عمق وطمأنينة ؛ وهي مقابلة تطلعننا على أفق ثالث من آفاق الإنسان التي يطل منها على ملكوت الله الخفي .. ولقد نفخ الله من روحه في الإنسان ، فكان ذلك الروح سر امتيازهِ وتفضيله وتعدد آفاقهِ ومواهبهِ ، وكان فيه إشارة إلى أفق آخر من آفاق الغيب يتصل به الإنسان ويتجاوب معه ، ويتعرض لما شاء الله من تفحاته .

فنحن — إذاً — بإزاء :

- (١) أفق المادة .
- (٢) وأفق الجن .
- (٣) وأفق الملائكة .
- (٤) وأفق الزوج .

ولا نستطيع — ونحن بصدد تكوين الإنسان أو « تصميمه » — أن نهمل العلاقة الوثيقة بين تلك الآفاق وبين الخلافة التي أراد الله سبحانه أن يسندَها إليه في هذه الأرض ... !

إن كلام الله سبحانه محكم الآيات ، مسدد الإشارات ؛ مامنه كلمة أو حرف إلا وقد فصله الله لمعناه ، وأراد به منذ الأزل رمزاً لما شاء سبحانه من علمه : « كتاب أحكمت

آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ^(١) ، « ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون » ^(٢) ، « قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض » ^(٣) . وإنا لنظلم أنفسنا أشد الظلم إذا مررنا بتلك الإشارات الدقيقة دون أن نقف لتأمل ما وراءها من آفاق هذا الكون الواسع الرهيب !

هذه واحدة ، والأخرى التي يجب أن تقدرها قدرها في هذا المقام ، أن الله سبحانه إذ يحيي ويميت ، أو يعطي ويمنع ، لا يفعل ذلك جزافا دون تقدير أو دراية لمواقع ما يفعل ، بل هي الإرادة القدسية التي لا تتعلق إلا بالتقدير الدقيق ، والإحكام البالغ ؛ فتعطي تيزان ، وتخلق بقدر ، وتمنع لحكمة ؛ وليس قدر من هذه الأقدار إلا وهو مصيب محله لا محالة ، لا يزيد عنه ولا ينقص ، ولا يجاوز موضعه ولا يجيد عنه قيد شعرة « إنا كل شيء خلقناه بقدر » ، « وكل شيء عنده بمقدار » ، « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . فإذا كان الله سبحانه قد أراد للإنسان أن يكون خليفته في هذه الأرض ، فإنه قد برأه وقدره على وفق ما تؤدى به هذه الخلافة أفضل أداء .

وإذا كان سبحانه قرن لنا في قصة تكوين الإنسان بين خلافته في هذه الأرض ، وبين الآفاق التي قدر له أن يتصل بها ، فإن بين تلك الآفاق وتلك الخلافة علاقة أوجبت ذكرها في معرض « التصميم » الذي سوى عليه الإنسان ، وإذا كان الله عز شأنه قد أمد الإنسان بطاقات من المواهب وآفاق من اللدارك ؛ فإن ذلك هو مقتضى « التصميم » الذي تعددت آفاقه ، وتنوعت جوانبه ، وأريد به للإنسان أن يواجه كل أفق بما يلائمه من الخصائص التي يصلح بها أمر الخلافة .

فليس في مواهب المرء شيء يزيد مثقال ذرة ، أو ينقص عن مقتضيات الوفاء بحقوق تلك الخلافة ؛ فإذا هو أدى الذي عليه ، ونهض بحق ما ألقى إليه ، وتعرض لكل أفق بحسبه ، وأعطاه من نفسه كل حقه ، فقد أنصف نفسه ، وكان عند ما أراد له الله من كرامة . . . وإذا أرادها مأكلة وشهوة وملهاة ، أو اتصل بأفق دون سواء ، وعطل بعض مواهبه دون بعض ، فقد أغلق من نوافذ نفسه ، وغير خلق الله فيه ، وانسلخ عما أراد له سبحانه من كرامة .

١ - والكلام عن أفق المادة يتناول ناحيتين دقيقتين :

الأولى : علاقة هذا الأفق بخلافة الإنسان في الأرض ، وهي علاقة تستبين واضحة إذا

عرضنا للدور الذي تؤديه مواهب الإنسان في هذا الأفق وفق ماتنضيه الخلافة من حقوق .. و نرجو الله جل ثناؤه أن يوفقنا إلى بيان شيء من ذلك حين نتكلم عن معنى الخلافة فيما نستقبل من كلمات هذا للبحث إن شاء الله .

أما الناحية الثانية : فهي ناحية الوجدان الذي ربطنا بهذا الأفق والناحية الأولى خاصة بالصفحة المطفية لعقل الإنسان ، وتلك خاصة بالوجدان الروحي الصادق الذي يحدد علاقتنا بهذه الأرض وما عليها

وقمتنا الخالدة تنص على أن الأرض إن هي إلا مستقر مؤقت للآسان : « .. ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين^(١) » هبط إليها من الملائكة الأعلى وعما قيل سيرحل عنها إلى حيث يشاء الله : « قال فيها يحيون وفيها يمتوتون ومنها تخرجون » ، « كما بدأكم تعودون » ، « وإن إلى ربك المنتهى » .

فوجود الإنسان في هذه الأرض مسبق مهدد علوي قضاء في الملائكة الأعلى ، وملحوق ببقاء مخلد فيما يشاء الله سبحانه أي أن أفق المادة إذ يجذبنا إليه إنما يجذبنا بروابط مؤقتة ، لا تلبث أن تحل عنا لنمضي إلى حيث يريد الحى الباقى جل ثناؤه .

وعلى ضوء الإيمان بتلك الحقيقة ، وفي مشاعرنا القدسية الصادقة يجب أن نعيش في هذه الأرض ، ونصرف فيها تصرف من لا يغيب عن ذهنه أنه ذو إقامة مؤقتة فيها ؛ أو تصرف الغريب الوافد لإقامة مؤقتة ، المتبريء لتلبية النداء في كل لحظة .

ولا نعرض هنا لبيان مهاج تلك الإقامة المؤقتة ؛ فلما بصدد الوعظ والتذكير ، وإنما بصدد تقرير الوجدان المتيقن الذي ينبثق في كيان المرء حين يعيش في ضوء هذه الحقيقة التي تقرررها القصة فتتمثل في شعورك حقيقة الوجدان الذي يسيطر على نفس الغريب المترقب لإشارة الرحيل في كل لحظة ؛ وانظر كيف يتحكم ذلك الوجدان في تحديد علاقة صاحبه بالبيئة التي يقيم فيها ، وتحديد نوع التصرفات التي لا يتصور سواها من الغريب المعجل الذي يستحث وجداءه كل آن للاستعداد والتطلع إلى أفق الرحيل .

تمثل ذلك الوجدان فهو كميل أن يبين لك دستور تلك الإقامة المؤقتة ، ويمدك بالظرة الصائبة التي تكشف لك قيم ما يكتنحك في أفق المادة ، ويحدد علاقتك بكل شيء تمثل ذلك فهو النهج الذي الرزقه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وأبان عنه بقوله : « ما أمان الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها »^(١) . وأوصى به زوجه لتكون على صراط مستقيم : « يا عائشة : إن أردت اللقوق بي فليكنك من الدنيا كراد الراكب »^(٢) . . . وأوصى به صحبه وأمه ؛ إذ أخذ بمكي عبد الله بن عمر يوماً فقال له : « كن في الدنيا كأنتك غريب أو عابر سبيل »^(٣) . . . قال الإمام النووي في شرح هدة العرب : « لا تركز إلى الدنيا ، ولا تتخذها وطناً . . . ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله » .

ونقول مرة أخرى : إننا لا نقرر هذا للوعظ والتذكير ، وإنما نقرره لتكشف حقيقة الوجدان الصادق الذي يجب أن تؤدي فيه مراسم الخلافة عن الله في هذه الأرض ، فإذا تحلى المرء عن ذلك الوجدان ، أو غاب عن ذهنه معنى تلك الغربة التي رسم له علاقته بكل شيء حوله ؛ فقد عليه أمره كله ، وانتقض نظام خلافته ، وعاش في هذه الأرض على غير السبيل التي أراد الله سبحانه . . . والقاريء الكريم في غنى عن أن نورد له ما يعلمه من كلام الله عن أولئك الذين غاض في نفوسهم شعور الغربة ، فرفضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، واستحبوها على الآخرة ، . . . وما وصفهم به سبحانه من كبر ، وما أعد لهم من عذاب . . . وشتان ما حال امرئ يزاول شأنه تحت شمس يقينه ، وامرئ نسي شأنه ، ونسي نفسه ، ونسي يقينه جميعاً ! !

٢ — وقد اكتبنا بالكلام على العلاقة الوجدانية أو الروحية التي يجب أن تصلنا بأفق المادة ، ولم نتكلم عن الكائنات التي يتألف منها ، فلم نقل — مثلاً — إنها الحديد والنحاس والذهب والفضة والتراب والخشب والشجر والنبات والطير والثر والماء والشمس والقمر . . . لم نقل شيئاً من هذا أو نحوه ، فهو معروف للإنسان واقع تحت حبه كلما قلب نظره بين كائنات السماء والأرض . . . فهل نمر هذا المرور

(١) من حديث رواه الترمذى .

(٢) من حديث رواه الترمذى .

(٣) رواه البخارى . . . ويلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن السعي والعمل ، ولا يأمر بترك موارد النزوة في أيدي أعداء الله ؛ إنما يقرر حقيقة الوجدان الذي يجب أن يطر به إلى الدنيا فهو وجدان يهيم على المادة ، ويحمل الدنيا سخرة لما أراد الله من الخلافة ، لاشهوة يركن إليها الناس . . . وقد نمب الكثيرون في إدراك المسمى الحقيقي للزهد ؛ فليل شعور الغربة الذي يقرره الرسول عليه السلام بوصح ما نحن على مضهم دركة .

بأفق الجن فمكتفى بذكر الصلة الروحية التي يجب أن تكون بيننا وبينهم دون أن نعرف عنهم شيئاً !

إن الكلام عن الجن قد لا يكون ذا صلة بتكوين الإنسان أو « بتصميمه » ولكن لا بأس بتناوله ما دما بهذا الصدد ؛ فلنا بهم علاقات ، وبيننا وبينهم صروب من التجاوب والمعاملة .

فهم خلق خلقهم الله سبحانه وتعالى من مارج من نار ، ومنهم إبليس لقوله سبحانه : « إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » . . . وهم جيراننا في هذه الأرض يحبون فيها معاشهم ولهم شأنهم بها . . . وهم إذا كانوا هذا الكوكب . . . يروننا دون أن نراهم ؛ فلهم مداركهم التي يدركونها بها ، دون أن يكون لنا مثل تلك المدارك : « إنه يراكم هو وقيمه من حيث لا ترونهم » . . . ويتناسلون ويتكاثرون . « أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ؟ » .

وهم مكلفون مثلنا إذا أخبر سبحانه أنه ما خلقهم إلا لعبادته : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ، « وأمرهم أن يؤمنوا بكتب الله ويرسله : « وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ! ! . فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا : إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به . . . الخ (١) » . . . ولكن منهم من سبقت له الحسنى فهو مؤمن بربه ، ومنهم من غلبت عليه شقوته فهو من الضالين : « وأنا ما الصالحون وما دون ذلك كما طرائق قددا . . . وأنا ما المسلمون ، وما القاسطون (٢) » .

وفي إمكانهم أن يتصرفوا في مادة هذه الأرض بسلطان من الله : « قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني عليه لقوى أمين » ، « يعملون له ما يشاء من محارب وثمانيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » .

وفي استطاعة الإنسان — بإذن الله — أن يسخرهم هذا التسخير ، ويخدمهم جنداً له إذا بلغ ما يرشحه لذلك من صفاء النفس وقوة الروح ، وإيثار الله له بهضه ؛ كما كان لسلطان عليه السلام إذا حشر له جنوده من الجن والإنس . « ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (٣) » .

وإذا كان ذلك التسخير خصوصية لا تنبغي لأحد بعد سليمان عليه السلام ، فإن سر تلك الخصوصية لم ينقطع بعده ؛ فقد روى الشيخان رضى الله عنهما عن النبي

صلى الله عليه وسلم « قال : إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتي ، فأمكنى الله منه فأخذته ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخى سليمان . (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فرددته حاشاً .. وكلنا يعرف ما بلغ خوف الشياطين من عمر رضى الله عنه ؛ حتى إنه ما سلك في ، إلا تنحى له الشيطان عنه : « إيه يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما ليك الشيطان سالكا في قط ، إلا سلك في غير فوك (١) » .

ومع ما يبره الله للإنسان من أسباب القوة التي ترهب هؤلاء المردة ، فإننا نعلم أن ليس هناك ما يكف شرارهم عن مس بعض الناس مما يضطرب به مزاجه ، ويحتمل له كياه فيصاب بالصرع أو بغير الصرع من الأمراض العصبية ١١

ولا يحسن أحد أن ذلك من مخلفات عصور الجهل والخرافة فقد ورد به الكتاب في قوله سبحانه : « الذي يأكلون الرمالاً ويومنون إلا بما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » ، ومن البعد عن الصواب أن نعمل هذا المس على أي لون من ألوان التأويل ؛ فإن الآية الكريمة لم تصطدم إلى الآن بقانون علمي ثابت ؛ وما يزال الطب واقفاً أمام أبواب تلك المجهيل في حيرة وعجز وتفويض إلى القوة الغيبية التي تحكم تلك الأسرار الغامضة ... ومادام الأمر كذلك فلا يحمل بنا أبداً أن تبرع بتأويل كلام ربنا وصرفه عن وجهه في غير ضرورة ... ذلك إلى أن السة الصحيحة وردت في هذا الباب بتفاصيل تقطع شك المرتاب ، وثبتت يقين من يحتاج إلى الثبات ؛ وقد عقد الإمام ابن القيم فصلاً فيما عن ذلك في زاد المعاد . فليرجع إليه من يشاء .

ومما له أوثق الصلة بموضوعنا أنه ما من آدمي إلا له قرين من شياطين الجن يلزمه حيث كان . وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : « وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير » .

وفي قوله عليه السلام : « إلا أن الله أعانني عليه » ما يدل على أن ملازمة القرين لا يقصد بها إلا البغي على الإنسان وإلحاق ما يمكن من الضرر به . . . وفي قوله : « فلا يأمرني إلا بخير » ما يدل على أن إلقاء الشر والوسوسة به هي الضرر الذي يريد عدو الله إلحاقه بنا . إلا أن همة الرسول صلى الله عليه وسلم لوت زمامه وأخذت

بمخلاقه ، حتى أنزله على أحكامها القدسية فأسلم فلا يكون منه إلا الخير .
وهنا حقيقتان يجب تقريرهما في هذا المقام :

الأولى : أن الشيطان — كما قدمنا في بعض كلمات هذا البحث — يتلطف

في تزوين الشر لقرينه .

والثانية : أن الشيطان يلزم قرينه أو يعارقه بقدر ما يجد من استسلامه له

أو عصيانه ؛ فإذا أراه شدة في أمر الله وتعظيماً لحرماته قلص عنه وخنس ، وإذا أهمل
وضيغ واستمرأ ما يرين له عدوه فهو المقتون الذي لبس الشيطان أو لبسه الشيطان
أو لبس كلاهما الآخر ، كأن كلا منهما لمرط ما بينهما من وفاق ومواءمة قد فصل
على قدر قرينه ، وهذا شأن أكثر الناس . وإلى هذا المعنى وإلى سابقه يشير قوله سبحانه :
« وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ^(١) » .

ولما نجد إيجاراً في روعة التصوير ودقة التعبير عن معنى ملازمة الشيطان للمرء
واشتماله عليه وإحاطته به من جميع أقطاره كذلك الذي نراه في قوله سبحانه :
« وقيضنا » أي قدرنا وأحكامنا تفصيل كل قرين على مثال صاحبه ... قال صاحب الكشاف :
« وثوبان قَيْضَان إذا كانا متكافئين » . . . ولعله مأخوذ من القَيْض وهو القشرة
اليابسة العليا على البيضة ؛ فاشتمال الشيطان على قرينه اشتمال القَيْض على البيض
هو التصوير المعجز لمبلغ استعلاء هذا العدو على الإنسان وتمكنه منه ومنع استخذاء
الإنسان له وهو لا يدري ، بل وهو يظن أنه على هدى وصراط مستقيم . وما أحكم
قوله حل شأنه : « ومن يمش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطاناً فهو له قرين ،
وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحبون أنهم مهتدون ^(٢) » .

ولعل تلك الملازمة والمزاوجة التي يستمتع فيها كل قرين بصاحبه استمتاعاً يصد عن
الهدى وينفض إلى دار البوار — لا محالة — هي المشار إليها في قوله سبحانه : « ويوم
يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس
ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ، قل النار مثواكم خالدين فيها
إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ^(٣) » .

وتبدأ علاقة الشيطان بالإنسان منذ أي أن يسجد لآدم عليه السلام .
وقد قررت القصة الكريمة أن الشيطان يضر لنا أشد العدا ، ونادى الله سبحانه

به آدم عليه السلام ولفته إليه بما لا يدع مجالاً للبس: «يا آدم إن هذا عدو لك ولروحك فلا يحرخسكما من الجبة فتشقى». وقد تكلم كثيرون عن الحسد وغير الحسد بما يكتنه الشيطان لنا، ولكن القصة ألت بالأصل العميق الجامع لكل ما تنسم به تصرفات هذا العدو معنا. فالحسد من نعم الله على الغير ونمى رواها عنه، فإذا زالت زال ما فى قلب الحاسد من موجدة، أما ما يجد لنا هذا العدو فى حقايا نفسه فأوسع دائرة وأبعد مدى إذ لا يكف عن قرينه حتى يكبه فى سواء الجحيم، وهيهات أن يشقى ذلك من ضفته ويستل سخيمة نفسه.

وقد أمرنا الله سبحانه أن يكون شأننا معه على مثل ما يضر لنا، عداً بعداء: «اهبطوا بعضكم لبعض عدو». ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين» فإذا كان شعور الغربة هو الوجدان الذى يجب أن نلتزمه بإزاء متاع الحياة الدنيا فإن شعور العداء واليأس هو الوجدان الذى يجب أن نستشعره بإزاء الشيطان؛ فليس من المطلق ولا من طبائع الأمور أن نلقاه بعير ما يلحقنا به من الشاعر: «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير».

ولسنا بإزاء ذلك فى حاجة إلى تكلف هذا العداء والتصنع له، وقد قدمنا من مخالفة الشيطان لأمر ربه، وإلحاحه فى إزال أقدح الضرر بأثمن ما لنا من ثروة العمل الطيب وخصائص الرشد ومدارك الصواب الروحى، قدمنا من ذلك ما لو تدبرناه بصائرنا حق تدبره، ونمئذنا عواقبه الخطيرة، لشأ فى صدورنا من العداء والاستكثار والاستفذار، ما لو وزع بعضه على أهل الأرض لتعادوا به فيما بينهم أشد العداء.

فإذا آمنا بتلك الحقائق وكانت الدار الآخرة هى وجهتنا ومطمح هممنا وبصائرنا، فإن العداء الذى يدعونا إليه للولى سبحانه يصبح لازمة من لوازم نفوسنا لا تتحول عنه... تقول ذلك لا لنجعله أول مراتب التجاه من كيد هذا العدو فحسب، بل لنؤكد معه أو قبله أنه هو الحاسة المرهفة التى يجب أن تكون مصوبة على الدوام نحو أفق الشياطين، وعلى هديها تتعامل معهم ونؤدى مراسم خلافتنا فى هذه الأرض... والله الموفق إلى سواء السبيل.

شرعية القرآن دليل على أنه من عند الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

٢ - حكم القرآن

١ - ذكرنا في مقالنا السابق أن القرآن الكريم كفّل حرية الدين لمخالفيه في ظل حكومته بقدر لم يعرف في التاريخ إلى اليوم ، ولم يجعل لما يسميه المحدثون وحدة القانون في الدولة سلطانا يحاجز بينه وبين حرية الدين ، وحرية التحاكم على مقتضى ما يبيحه دينهم وما يمدحهم منه ؛ لأن القرآن هو شريعة العدل المطلق التي تعدل مع الموافق والمخالف على سواء . وما كان من شأن الشريعة العادلة السمحة الكريمة أن يحول بينها وبين إقامة العدل والحرية تنسيق قانوني شكلي .

وذكرنا أن القرآن الكريم كفّل حرية الفكر ، وحرية العمل ، والحرية الشخصية ، وذكرنا أن أشد ما عني به الإسلام هو حرية الضعفاء ، وخص نوعين من الضعفاء بحماية إنسانيتهم ؛ وهما المرأة والرق ، وأن وصايا النبي صلى الله عليه وسلم بهما استمرت من مبعثه إلى وفاته ؛ حتى كان آخر ما قال الوصية بهما .

وقد أشرنا من قبل إلى ما سلكه القرآن الكريم في تخفيف ويلات الرق ، وكان أول نداء قوى وجهه إلى الإنسانية داعيا إلى التحرير ، وإنهاء تلك الحال التي تجعل الإنسان شيئا من الأشياء ، وتهدر معها إنسانيته وكرامته .

٢ - والآن نشير إلى ما أعطاه القرآن المرأة من حرية كفلت بها إنسانيتها في دائرة الحياة التي خصصها الفطرة الإنسانية لها .

لقد كانت المرأة في البلاد العربية وما يجاورها متاعا أو كالمتاع ، لم يكن لها حقوق قبل ولها زوجها بمن شاء ، وليس لها رأى في أى أمر من أمورها ، ولا تستحق شيئا من ميراث ؛ فإذا انتقلت من أسر الولاية الأبوية أو ما يتشعب عنها إلى الزواج حلت ولاية الزوج محل ولاية الآباء من عصبتها ، فهي في أسر دائم ورق مستمر يبتدىء معها من يوم أن ينبتق لها فجر الوجود إلى أن يضمها القبر ؛ فكان الأنوثة سبب للرق المستمر ، لأنه سبب ملازم لا يقبل الانهاء ، ولم تكن الحال خيرا من ذلك عند الفرس وغيرهم ، وأنه في البلاد العربية كانت توجد قبائل تورث فيها المرأة كل

يورث المتاع ؛ فمن تكون زوجا لشخص تنتقل بالميراث زوجيتها إلى الورثة ، وكأنها رقيق تنتقل للملكية فيه إلى الورثة .

٣ - جاءت شريعة القرآن فصانت للمرأة إنسانيتها ، واعتبرتها إنساناً كاملاً ، له كل حقوق الإنسان غير متقوصة ، وهي كالرجل في الحقوق والواجبات التي نشأتها الإنسانية المجردة . ولأول مرة في التاريخ الإنساني تسمع الإنسانية كلام الله تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

(١) منع الإسلام أن تنتقل الزوجة بالميراث ، وأبطل تلك العادة الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان .

(ب) كما حرم تحريماً قاطعاً عضل المرأة : أي منعها ظلماً من أن تزوج الأكفاء من الرجال .. فقد قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرثُوا النِّسَاءَ كَرهًا ، وَلَا تَمْضُوهُنَّ لِنَهْسِهِنَّ يَبْعُصَ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؛ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » . وكما منع أولياء الزوج إذا توفي من عضلها ومنعها من الزواج بالقوة والتهديد ، كذلك منع عضل أوليائها ، فلا يسوغ لأوليائها أن يعموها من الزواج من الكف ، بل عليهن أن يسهلن ذلك لها ؛ ولذلك قال سبحانه وتعالى : « وَإِذَا طَلَقْتِ النِّسَاءَ فَلِمَنْ أَجَلُهُنَّ لَا تَمْضُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

(ج) ومنع الأولياء من أن يزوجهن من لا يرغبن ؛ فليس لأحد أن يجبر بالغة عاقلة على الزواج ، فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم الذي بين الكتاب الكريم للناس : « الْأَيْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا » .

ولا خلاف بين الفقهاء في منع الإجبار عن البالغة العاقلة المجربة ، وإن اختلفوا في توليها أمر العقد بنفسها ، فلا خلاف في أصل الولاية وثبوتها لها ، إنما الخلاف في إشراك وليها معها في هذه الولاية من غير إزام ولا إجبار ، بل الأمر أولاً وبالذات يعود إليها . ولأبيها أو أخيها فضل المعين ، حق لا تضل في تقديرها ؛ بمدى مجبرته ومضل محالطته للناس ودراسته لأحوالهم ، ومعرفة بحبايا نفوسهم .

ومع ذلك فأبو حنيفة قرر - معتمداً على بعض صحاح السنة - أنها إن اختارت الكف فليس لولي معها شأن . وإن ذلك القول لم يصل إليه المرأة في الأم الأوربية إلا منذ سنين (١) .

(١) إن القانون المردى الذي يقدره علماء القانون لا يعطى النفي أو المنة خرية الاعتبار =

٤ — ولم يكن ذلك فقط ما أعطاه للمرأة من حقوق سبق بها كل الشرائع سقاً بعيداً ؛ بل إنه اعتبرها ذات شخصية مستقلة تمام الاستقلال عن ذوبها ؛ فجعل مالها منفصلاً عن مال أوليائها ، تديره نفسها أو بوكيلها الذي تختاره اختياراً حراً ، ولها أن تعزله في أى وقت شاءت ، ولا رقيب عليها في مالها إلا عقلها ورشدها ، وليس لأحد عليها في مالها سبيل ، إنما الأمر المطلق فيه إليها ؛ سواء أ كانت متزوجة أم كانت غير متزوجة .

هذا ما يقرره القرآن ، ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي شرح القرآن و بينه للناس ومحمد النبي الأُمى يقرر ذلك بينا القاتون الروماني ، والقوانين الحديثة التي اشتقت منه لم تعترف للمرأة بالشخصية المالية للفصلة ؛ فقال زوجها ومالها شركة يديره الزوج . وإن القانون العرسي الذي أُحل في مصر محل الشريعة في المعاملات المالية تعد فيه المرأة المتزوجة ناقصة الأهلية ، فلا تستطيع أن تدير مالها الخاص بها ، ولا الأموال التي تكون شركة بينهم بحكم الزواج ، بل إدارة أموال الشركة المالية التي أنشأها الزوجان للزوج فيها مطلق الحرية ، وليس لها إدارتها إلا بإذن منه ، وكذلك إدارة أموالها التي لا تدخل في حكم الشركة ليس لها أن تتصرف فيها ببيع أو شراء أو رهن أو هبة إلا إذا كان معها زوجها في العقد ، وأجاز لها كتابة ، إلا إذا كانت تاجرة محترفة ، وليس لها أن تحاصم أمام القضاء من غير إذن زوجها في أى شأن من شئونها ، ولو كانت قبل زواجها محامية تذود عن الحقوق وتحصيها .

٥ — أين هذا من شريعة القرآن التي تقرر أن للمرأة البالغة العاقلة الرشيدة الشخصية الكاملة في إدارة أموالها وتصريف شئونها المالية ، وقد أجمع على ذلك الفقهاء الذين استنبطوا آراءهم الفقهية من كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الشارحة لما جاء في القرآن الكريم ، والمفصلة لجملة . ولم يخالف ذلك الإجماع إلا أقوال شاذة قالها بعض المالكية ، ونسوها للإمام مالك ، وخالفها أكثر من المالكية . وهذه الأقوال تتعلق بموضعين : أحدهما بالنسبة للبكر البالغة ، فإنه روي في المذهب المالكي أن ولاية مالها تكون للولي المالي حتى تزوج ، أو تعنس ، ولكن يرد هذا قوله تعالى : « فَإِنْ آتَسَمَ مِنْهُمْ رَشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ » والخطاب شامل ليعم الذكر والأنثى ، بلا فرق بين بكارة وثيوبه .

== قبل الخامسة والعشرين لأمي ، والحادية والعشرين للعتاة ، فلا يجوز رواحهما به قبل هذه السن من غير رضا الولي . وبعد هذه السن إلى الثلاثين لابد من الاستئذان . وأين هذا مما قرره أبو حنيفة — معتمداً على بعض المأثور عن السنة النبوية — من أن البالغة العاقلة لها أن تروح نفسها عن نشاء من الأكفاء .

والموضع الثاني : أنه يروى أن مالكا يرى أن المرأة المتزوجة ليس لها أن تترع من مالها بأكثر من الثلث ، وأن الرواية الشاذة ليس لها أصل من كتاب أو سنة فهو حجة ليس له دليل ؛ وقد رد ذلك ابن حزم رداً عيافاً فقد قال : « قول مالك لا نعلم له متعلقاً من القرآن ، ولا من السنن ، ولا من رواية سفيحة ، ولا من قول صاحب ولا تابع ولا أحد قبله ، إلا رواية عن عمر بن عبد العزيز قد صح عنه خلافها ، ولا من قياس ولا من رأى له وجه (١) » .

٦ — هذه هي الحقوق التي أعطاهها الشارع الإسلامي للمرأة ، ولم تكن لها من قبل ، ولم يعرف أن شريعة إلى آخر القرن الماضي أعطتها ما أعطاهها القرآن ، وهي حقوق استحققتها إنسانيتها وأدبتها ؛ فهي من تكريم الآدمية . وهناك حقوق لها تستمد من الأنوثة ، كما أن للرجل حقوقاً تستمد من الرجولة ، فقد جعل لها الشارع حق القيام بشئون أولادها ورعايتهم حتى يبلغوا سناً تقارب سن البلوغ ، فعمل للنساء حق حضانة الأولاد ، ومنع الرجال من أن يحولوا بينهم وبين هذا الحق ؛ وهذا عمر ابن الخطاب أراد أن يأخذ ولده عاصماً من جدته أم أمه ، وغالبته في ذلك ، حتى وصلا إلى أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتكمان فقال الصديق للفاروق : دعه لها . . مسّها ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك !

وكان حق التربية للمرأة لأن عملها داخل البيت ، وهي أقدر على القيام بشئون الأطلال ؛ فقد تربوا في بطونهم أجنة ، فيتغذون في حجورهن صغاراً ، حتى إذا شبوا عن الطوق تولاهم الرجل بالحياطة والكلاءة الأبوية .

٧ — إلى هنا قد أشرنا إشارة واضحة إلى الحقوق التي أعطاهها الإسلام المرأة والرقيق ، والذميين في حكمه ، ونريد من بعد ذلك أن نتصدى بإشارة موجزة إلى نظام الحكم القرآني في داخل الدولة الإسلامية ، ثم في علاقة المسلمين بغيرهم ؛ لكي يطمئن الذين أصابهم هلع من حكم القرآن لأوهام توهموها ، وأراحيف صدقوها .

إن القرآن الكريم صرح بأسس الحكم الصالح بين الناس ؛ وأسس العلاقة العاضلة بين الأمم ؛ فلتكلم عن هذين الأمرين بكلمات موجزة عبر مفصلة ، وإن كانت بيّنة واضحة .

٨ — والحكم الصالح في الإسلام يقوم على ثلاث دعائم : أولها : إقامة العدل بكل ما تشتمل عليه كلمة العدل . وثانيها : الشورى بين المسلمين . وثالثها : رعاية المصالح الاجتماعية والشخصية ، وكل ما يجلب خيراً أو يدفع ضرراً .

هذه هي الدعائم التي يقوم عليها بناء الحكم الصالح في الإسلام ؛ على أن يكون ذلك في ظل التدين الصحيح ، والحلق العاضل ، والمودة الواصلة بين الآحاد والجماعات ، والتراحم والترايط ؛

ودلك لأن كل جماعة يوثق الروابط بينها نوعان من التوثيق : أحدهما : قوانين منظمة للعلاقات حاسمة لكل خلاف ، فاصلة في كل نزاع مع ولاية حاكمية توزع العدل بين الناس ، ويرعى مصالح العباد ، وتنظم الحقوق والواجبات ،

والنوع الثاني : فضائل تهذب القلوب ، وتربط النفوس . وإن هذا النوع لا يكون بأحكام قضائية رادعة ، ولا بأحكام إدارية مانعة ؛ إنما يكون ذلك بتهديب نفس ، وتربية وجدانية ، وتقويم خلق ، وقد عنى الإسلام بتلك التربية في العبادات التي فرضها ، والإرشادات الخلقية التي نادى بها النبي صلى الله عليه وسلم ، ونطق بها القرآن الكريم مثل قوله تعالى في الأدب النفسي : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلین » ومثل قوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : « إنكم لاتسعون الناس بأموالكم فنعوم بحسن أخلاقكم » ومثل قوله عليه السلام : « ابعوثي في ضعفائكم فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » ومثل قوله عليه السلام : « من لا يرحم لا يرحم » وهكذا من حوامع الكلام التي ترشد إلى السلوك الشخصي القويم ، والتي تكون الطاعة فيها ثمرة العادة الخالصة لرب العالمين كما قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر » .

أما النوع الأول من توثيق الروابط بين الجماعة ، فهو الذي ينظمه حكم القرآن ، وأساسه الدعائم الثلاث التي نوها عنها وهي : العدل ، ومصالح الناس ، والشورى . وإن من الحق علينا أن نشير إلى كل واحد من هذه الأمور بكلمة مبينة ؛ وإن كانت في ذاتها واضحة لا تحتاج إلى فصل من البيان .

١ - دعا القرآن الكريم إلى العدل مع العدو والولي ؛ فإن العدل حقيقة خالصة ليست مقصورة على الأحياء ، بل إنها تعلو إلى المعاني القدسية عندما تشمل الأعداء ، وهذا هو معنى قوله تعالى : « ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله » وقد قال تعالى : « يأها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان عما تعملون خبيراً » .

فالعادلة الحق لا تفرق بين قريب وغريب ، ولا غنى ولا فقير ؛ بل إنها توزع الحقوق بالقسطاس المستقيم ، وليس العدل في القرآن حقاً للحاكم يعطيه أو لا يعطيه ، بل هو واجب عليه ، وهو أمانة في عنقه ، ولذلك قرنه الله سبحانه وتعالى بالأمر بأداء الأمانة في قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله بما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » بل إن العدل أشد الأمانات وجوباً ، وأغلظها طلباً من الحكام ، ولعله الأمانة التي صعب على السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشققن منها ، كما قال تعالى : « إنا عرصنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشققن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » .

١٠ — والعدل له شعب شتى ، وفروع كثيرة ، وأقسام مختلفة الصور ، وإن اتفقت الحقيقة في كلها ، فالحقيقة الشاملة لكل معاني العدل هي إعطاء كل ذي حق حقه ؛ سواء أكان ذلك الحق شخصياً ، أم كان اجتماعياً ، أم كان سياسياً . وكل تصيب للوصول الحق إلى صاحبه أو إلقاء عقوبات في سبيله هو من قبيل الظلم ، ولقد أدرك ذلك المعنى الحكام القراءنيون الذين حكموا بحكم القرآن ، ونفذوا مراميه ، واستهدفوا أهدافه ؛ فعمربن الخطاب كان يحسب أنه مسئول عن الشاة تضيق في الصحراء ولا يدركها صاحبها ، وكان يذهب إلى ذوى الحاجات بنفسه ، وكان يثب رسله في الأقاليم يبحثون عن مقدار ما يقوم به ولاته من تسهيل الوصول إلى الحق ، وكان يجتمع في الحج مع الحاجاج الوافدين من الأمصار الإسلامية يسألهم عن ولاهم ، ويتحرى أول ما يتحرى عن توصيل الحقوق إلى أصحابها ، وكان ينهى ولاته عن اتخاذ الحجاب لكي تبدو صفحتهم للناس ، ويصل طلاب الحقوق إليهم ، وكان ينههم عن اتخاذ مساكن لهم يصعب على الناس الوصول إليها لرفع مظالمهم .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز عادل الأمويين أمراً للمسلمين أرسل إلى الناس كتاباً ينههم عن الجبىء إليه ، حتى لاتتألم شقة الطريق البعيد ، وأن الحق يصل إليهم في مواطنهم ، وكان رضى الله عنه عند قوله ، فقد وصلت الحقوق إلى أربابها في خلافته التي كانت قصيرة الأمد .

ولقد اعتزم الفاروق عمر بن الخطاب في السنة التي توفى فيها أن يمر بالبلاد الإسلامية ليعطى أصحاب الحقوق ، ويشرف على توزيع العدل بينهم ، وهو الناقد البصيرة ، الحصيف الفكرة ، الذى يرى الرأى كأنه يستخرجه من وراء العيب ؛ لعدم مدى فكره ،

وقوة إدراكه للأمور ، حتى لقد قال فيه محمد صلى الله عليه وسلم : « لو كان في هذه الأمة محدثون (أى ملهون) لكان عمره » .

١١ — وليس العدل في حقيقته كما هو في الإسلام وفي أحكام القرآن ، هو المساواة في كل صورها ؛ بل إن من المساواة ما يكون عدلا ، ومن المساواة ما يكون ظلما ؛ فالمساواة حيث تختلف الأسباب ، وحيث تختلف الأعمال وقوة الإنتاج ظلم كل الظلم ؛ فالمساواة بين العامل والحامل في الجزاء ظلم ، والمساواة بين البر والفاجر في الثواب ظلم ، والمساواة بين من تختلف مقادير أعمالهم ظلم . وإن الجزاء على العمل من جنسه ومقداره ، وإنه كنتاج الزرع ، ونعار الشجر ، قد تفاوتت أقدارها لتفاوت الخصب والنفاء فيها ، ولتفاوت العمل في السقي والرعى ، ولتفاوت القيام والإشراف ، ولتخالف ما عدها به الأقدار .

فإذا كان التفاوت في الإنتاج والثمرات في الزرع والثرأ فطريا محسوسا تراه الأعين ، فكذلك التفاوت في الجراء عند تفاوت العمل ؛ فليس الناس سواء في قوامهم ، فكذلك لا يكونون سواء فيما يبالون من جزاء ، وما يستحقون من مكافآت . إن العدل في هذه الأحوال هو التساوى بين العمل وثمرته ، لا التساوى بين الأشخاص ، وإن كانمة ملازمة تفرص بين العدل والمساواة ؛ فهي المساواة التي لا تخص المساواة بين الأشخاص ، بل تتم المساواة بين الأعمال ونتائجها .

وليس العدل أن يكون الناس سواء في الننى أو الفقر ؛ لأن الننى والفقر ثمرتان في أكثر أحوالهما تفاوت العمل ، وتفاوت الفرص ، واختلاف المقادير ، واختلاف المهيئات السكنية والزمانية . ولذلك كان التفاوت بين الناس في الننى والفقر يشبه الحقائق الثابتة التي لا يمكن محوها من الوجود الإنسانى ؛ لأن ذلك التفاوت لا يمكن التحكم في أسبابه ، إذ يتصل بالقوى الإنسانية ، والمقادير الأزلية ، وكلاهما ليس في قدرة الإنسان التحكم فيهما ، وكل محاولة في ذلك هي محاولة عقيم غير منتجة ولا مثمرة ، بل إنها معطلة لقوى الموهوبين ، مشبطة لعزائم العاملين .

ولذلك اعترف القرآن بحقيقة الننى والفقر ، ولم يحاول الشرع الإسلامى من نظام المساواة بين الأغنياء والفقراء في الثمرات والنتاج المالية ، ولكنه عالج الفقر بتخفيف ويلاته ، ومنعه من أن يرحض نفس الفقير ، ومدد يد المعونة المنتظمة لكيلا يهوى به الفقر ، فتضعف قواه فلا يعمل ، ولا يمكن من العمل للتعجز الثمر ، وحمل له كل الحقوق الإنسانية والقانونية والقضائية والسامية والاجتماعية التي للننى على سواء ؛ بل إنه حمل

له — إذا صبر وضبط نفسه ، وقوى عزيمته ، وأرهف قواه — فضلا أكرم من فضل العني ، وجعل له جزاء الصابرين .

فالإسلام إن اعترف بالعتي والفقير على أنهما حقيقتان مستقرتان لم يجعل الأغنياء طبقة لها حقوق ، والفقراء طبقة لها حقوق دون ذلك ، بل الحقوق القانونية والقضائية والإنسانية والسياسية وغيرها مما يكون مصدره التكليف الإنساني ، كل ذلك سواء ، ولا تفاوت يعترف به الإسلام إلا في مقادير الأموال ، ونتائج الأموال ، وألا يأكل الفقير مال العني بغير حقه ؛ لقوله تعالى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض » .

١٢ — وسها يكن من أمر التلازم بين العدالة والمساواة ، أو الانفكاك الفكري بينهما ، فإنه من المقرر أن المساواة القضائية والقانونية والسياسية ركن من أركان العدالة ، وجزء من حقيقتها ؛ ولذلك سوى القرآن الكريم بين الشريف النسيب ، والضعيف في الأحكام القضائية ، واعتبر القضاء الذي يكيل للناس بكيلين ، ويظلم لهذا ، ويزيد في حقوق ذاك حكما جاهليا ، وقال في اليهود عندما أرادوا أن يحكم للشريف بحكم غير الحكم المقرر : « أحكم الجاهلية يبغون ، ومن أصدق من الله حكما لقوم يوقنون » .

ولقد صرح بذلك القرآن في مواضع كثيرة ، بل إن ذلك هو الحكم بالقسط الذي كرر المطالبة به . وإن العني والفقير ، والقوة والضعف لا تكون سببا لتفاوت الأحكام إلا حيث يسود الظلم ، وتمسد العيوس ، وتضل العقول في إدراك معاني العدل ؛ ولقد نادى محمد صلى الله عليه وسلم أول مطبق لحكم القرآن بأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، ونادى بالمساواة في الحقوق والواجبات الإنسانية التي تشتق من الإنسانية المجردة فقال : « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وعندما أريد منه أن يحكم للشريف بغير الحكم المقرر في القرآن الكريم صاح بصوت رهيب قد شق بنوره حجبات الظلم في كل العصور والأمصار : « إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وأسم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وعلى هذا النهج التقوى سار الحكم القرآنيون ، ولا يحدثك عن عمر في هذا فقد سبق والله في هذا ، وهو كما قال علي فيه وفي أبي بكر : « لقد سقا والله سبعا عبيدا ، وأتعبا من بعدهما إتعبا شديدا ؛ فذكرهما حزن للأمة ، وطعن في الأئمة » .

في ظلال القرآن

للاستاذ سيد قطب

« وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً . قَالُوا : أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ؟ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالُوا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ، عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ، فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ . قَالُوا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ الْمَاطِرِينَ . قَالُوا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ، إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ، مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا . قَالُوا : الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ . فَذَبَحُوهَا ، وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ .

« وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ، وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . فَقُلْنَا : اضْرِبُوهُ بِمَقْضَاهَا . كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى ، وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . » ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً . وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ فِيهِ خُرْجُ الْمَاءِ ، وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . وَمَا اللَّهُ بِمَعْفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

تأتي هذه القصة القصيرة في معرض تذكير بني إسرائيل بما كان منهم من انحراف وفسوق عن سبيل الله ، ومن إعراض عن الآيات بعد وضوحها وجلالتها وقوة دلالتها ، ومن التواء ومحاولة عن استماع صوت الحق ، وإطاعة كلمة الله ورسوله .

وفي هذه القصة القصيرة مجال للحديث في جوانب شتى . . حاسب دلالتها على طبيعة إسرائيل التي عرض السياق من قبل صوراً منها ، وحاسب دلالتها على قدرة الخالق وحقيقة

البعث ، وطبيعة الموت والحياة ، ثم الجانب الفني في عرض القصة بدءاً ونهاية وأداء في هذا السياق .

ولمحاوّل أن نكشف عن شيء من هذه الجوانب لتلك القصة القصيرة .

إن السمات الرئيسية لطبيعة إسرائيل تبدو واضحة في قصة البقرة : انقطاع الصلة بين قلوبهم وذلك للعين الشقيف الرقراق .. معين الإيمان بالغيب ، والثقة بالله ، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل من عند الله ، ثم التلكؤ في الاستجابة للتكاليف ، ونفس الحجاج والمعاذير ، والسخرية المدفنة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان ! لقد قال لهم نبيهم : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً » وكان هذا القول بهذه الصيغة يكفي للطاعة والتفويض ؛ فسيهم هو رعيهم الذي أنقذهم من العذاب المهيّن ، برحمة من الله ورعاية وتعليم . وهو ينبئهم أن هذا ليس أمره وليس رأيه ؛ إنما هو أمر الله الذي يسير بهم على هدهد . فإذا كان الجواب ؟ لقد كان جوابهم سفاهة وسوء أدب ، واتهاما لنبيهم بأنه هزأ بهم ويسخر ، كأنما يجوز لإنسان يعرف الله — فضلا عن أن يكون رسوله — أن يتخذ اسم الله وأمر الله مادة مزاح ووسكاهة بين الناس : « قَالُوا : أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا ؟ » وكان رد موسى على هذه السفاهة أن يستعيد بالله ، وأن يردهم برفق ، وعن طريق التمريض والتلييح إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه ، وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بجاهل بقدر الله ، لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه : « قَالَ : أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » .

وكان في هذا التوجيه كناية لثوبوا إلى أنفسهم ، وليرجعوا إلى ربهم ، وينفذوا أمر نبيهم . . ولكنهم من إسرائيل . وإسرائيل تلك سماتها فيما تقدم من السياق ! نعم ! لقد كان في وسعهم — وهم في سعة من الأمر — أن يمدوا أيديهم إلى أية بقرة فيذبحوها ؛ فإذا هم طائعون لأمر الله ، منفذون لإشارة رسوله . ولكن طبيعة إسرائيل المتلكئة المتتوية تدركهم ، فإذا هم يسألون : « قَالُوا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؟ » والسؤال بهذه الصيغة يحى بأنهم ما يزالون في شكهم أن يكون موسى جادا فيما أنهى إليهم ، فهم أولا : يقولون : « ادْعُ لَنَا رَبَّكَ » فكأنما هو رب موسى وحده لا ربهم كذلك ، وكأن المسألة لا تعنيهم هم ، إنما تعني موسى وربّه ! وهم ثانيا : يطلبون منه أن يدعو ربه ليبين لهم « مَا هِيَ ؟ » والسؤال عن « الماهية »

في هذا المقام إنكار واستهراء . ماهي ؟ إنها بقرة ، وقد قال لهم من أول الأمر هذا ! بقرة ما ، لا صفة لها ولا صفة . ولتيم سألوا عن الصفة والصفة ؛ ولكنهم يألون عن الحقيقة والماهية !

ها كذلك أراد موسى أن يردهم إلى الجادة بأن يسلك في الإجابة طريقاً غير طريق السؤال . إنه لا يحجبهم عن « الماهية » وإلا كان ساخراً بنفسه وربّه ، متابعاً لهم في هذا الطريق الرذول . وهو كذلك لا يحجبهم بأعرافهم في صيغة السؤال ، كي لا يدخل معهم في جدل شكلي خارج عن الموضوع . إنه يحجبهم كما ينبغي أن يحجب المعلم المهدّب المريء من يتليه الله بهم من السفهاء المنحرفين الزائعين . يحجبهم عن صفة هذه البقرة التي كان يجب أن يسألوا عنها إذا كانوا لابد سائلين : « قال : إنها بقرة لا فارس ولا بكّر ، نحو أن بين ذلك » إنها بقرة لا عجوز ولا شابة ، وسط بين هذا وذاك . ثم عقب على هذا البيان الجميل بنصيحة أمرة حارمة : « فافعلوا ما تؤمرون » .

ولقد كان في هذا كفاية كذلك لمن يريد الكفاية . وكان حسهم وقد ردهم نبيه إلى الجادة مرتين ، ولمح لهم بالأدب الواجب في التلقي والسؤال ، أن يعمدوا إلى أية بقرة من أبقارهم لا عجوز ولا صغيرة ، متوسطة السن بين هذين ، فيخلصوا بها ذنوبهم ، وينفذوا بذبحها أمر ربهم ، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق . ولكن إسرائيل هي إسرائيل !

لقد راحوا يألون : « قالوا : ادع لنا ربك ييئ لنا ما لونها ؟ » هكذا مرة أخرى : « ادع لنا ربك » ولم يكن بدّ وقد شققوا الموضوع وطلبوا التفصيل ، أن يأتهم الجواب بالتفصيل : « قال : إنه يقول : إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » .

وهكذا ضيقوا على أنفسهم دائرة الاختيار — وكانوا من الأمر في سعة — فأصبحوا مكلمين أن يبحثوا لا عن بقرة ، مجرد بقرة ، بل عن بقرة متوسطة السن ، لا عجوز ولا صغيرة ، وهي بعد هذا صفراء ، لونها فاقع الصفرة ، وهي بعد هذا وذلك ليست شوهاء ولا هزيلة ، بل « تسر الناظرين » وسرور الناظرين لا يتم إلا أن تقع أبصارهم على فراحة وحيوية ونشاط والتماح وامتلاء في تلك البقرة المطلوبة ، فهذا هو الشائع في طبائع الناس : أن يحبوا بالحيوية والاستواء ويسروا ، وأن يسروا من الهزال والتشوه ويشمروا .

ولقد كان فيما تلكؤوا كفاية . ولكنهم يحضون في طريقهم يعتقدون الأمور ، ويشددون على أنفسهم أكثر وأكثر ، فيشدد الله عليهم كذلك بما شددوا . لقد عادوا مرة أخرى يسألون عن الماهية : « قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ » ويستندون عن هذا السؤال ، وعن ذلك التلكؤ بأن الأمر مشكل : « إن البقر تشابه علينا » وكأنما استشعروا لجاحتهم هذه المرة فهم يقولون : « وإنا إن شاء الله لمهتدون » .

ولم يكن بدًّا كذلك أن يزيد الأمر عليهم مشقة وتعقيدا ، وأن تزيد دائرة الاختيار المتاحة لهم حصراً وضيقاً ؛ بإضافة أوصاف للبقرة المطلوبة كانوا في سعة منها وفي عني عنها : « قال : إنه يقول : إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث ، مسلمة لا شية فيها » .

وهكذا لم تعد بقرة متوسطة العمر صفراء فاتحة خفس ، بل لم يعد بدًّا أن تكون كذلك بقرة غير مذلة ولا مدربة على حرث الأرض ولا سقى الزرع ، وأن تكون كذلك خالصة اللون لا تشوبها علامة .

هنا فقط . بعد أن تعقد الأمر ، وتضاعفت الشروط ، وضاق مجال الاختيار . « قالوا : الآن جئت بالحق » الآن ! كأنما كان كل ماضى ليس حقاً ، أو كأنهم لم يستيقنوا أن ما جاءهم به هو الحق إلا بالاحظة .. « فذبجوها . وما كادوا يفعلون ! » لطول ما تلكؤوا وماطلوا وانغمسوا المعاذير .

عندئذ — وبعد تنفيذ الأمر والنهوض بالتكليف — كشف الله لهم عن الغاية من أمره : « وإذا قتلتم نفساً فادّارأتم فيها ، والله مخرج ما كنتم تكتمون ، فقلنا اضربوه ببعضها . كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلمكم تغفلون » .

وهنا نصل إلى الجانب الثانى من جوانب القصة ، جانب دلالتها على قدرة الخالق . وحقيقة البحث ، وبطبيعة الموت والحياة ..

لقد كشف الله لبنى إسرائيل عن الحكمة من ذبح البقرة . لقد كانوا قتلوا نفساً منهم ، ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلصقها بسواء ، ولم يكن هنالك شاهد . فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القتل ، وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه بضربه ببعض تلك البقرة الدبى . وهكذا كان ، فعادت إليه الحياة ، ليخبر عن قاتله ، وليحلوا الريب والشكوك ، وليحق الحق ويطل الباطل بأوثق البراهين .

ولكن فم كانت هذه الوسيلة ، والله قادر على أن يحيى الموتى بلا وسيلة ؟
ثم ما مناسبة بقرة الذبوحه واليت للبعوث ؟

نحسب أن معنى الاختبار لمدى التلبية والطاعة واضح فى التكليف بدين بقرة .
وقد شاهدنا كيف تلقى بنو إسرائيل الأمر ، وكيف ساروا به فى ذلك الطريق
المتعرج البطيء . واعلمنا نلمح مناسبة بين عبادة بنى إسرائيل للعجل الذى أشربوه فى
قلوبهم — كما تقدم فى السياق — وبين اختيار بقرة لتكون موضوع الاختبار ؛

هذا من ناحية شكل الاختبار ، أما من ناحية موضوعه ، فإنه ذلك العث بأدنى
وسيلة وبأيسر طريقة ، والاستقال من حالة الموت المؤكد إلى حالة الحياة والطق
والإرشاد إلى القاتل . وليس فى البعض الذى ضرب به القليل حياة ، ولامادة حياة .
إنما هى قدرة الله التى لا يدركى البشر كيفية عملها . إنهم يشاهدون آثارها ، ولا يدركون
طبيعتها : « كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون » بمثل هذا الذى ترونه
وأفما ولا تندرون كيف وقع ؟ وبمثل هذا اليسر الذى لا تقيد فيه ولا مشقة ..

إن المسافة بين طبيعة الموت وطبيعة الحياة مسافة تدبر رؤوس البشر ، وتحرهم
عن التصور .. ولكنها فى حساب القدرة الإلهية لا تزيد على توجه الإرادة : « كن .
فيكون » و « صر . فيصير » .. كيف ؟ هذا مالا أحد يدريه . ومالا يمكن لأحد أن
يدركه .. فأدراك الماهية والكيفية هاهو سر من أسرار الألوهية لاسبيل إليه فى عالم
البشر الفانين . وإن تكن دلالة فى طوق العقل البشرى إدراكها : « ويرىكم آياته
لعلكم تعقلون » .

وأخيراً ملتفت إلى الجانب الفنى فى عرض القصة وأدائها . والجمل الفنى لا ينافى
الصدق الواقعى — كما يتوهم بعض الزاعمين — إن الحقيقة يمكن عرضها عرضاً حميلاً
من ناحية طريقة الأداء ، وهذا مانص به بالجمل الفنى فى قصص القرآن .

وهذه قصة صغيرة نبدؤها فإذا نحن أمام مجهول لانعرف ما وراءه . أى أمام نوع
من العقدة الفنية فى الرواية . نحن لانعرف فى مبدأ القصة : لماذا يأمر الله بنى إسرائيل
أن يذبحوا بقرة ، ولعل بنى إسرائيل لم يكونوا يعرفون كذلك ؟ إذ كان العرض
هو اختبار مدى الطاعة والتلبية والاستجابة .

ثم تابع القصة فى الحوار بين موسى وبنى إسرائيل مباشرة . على حين أنهم فى كل
مرة يطلبون إليه أن يسأل ربه ، وفى كل مرة يعود إليهم بالجواب من عند ربه .

ولكن القصة لا تقول : إنه راح يسأل الله ثم عاد ليحيب السائلين . وإن هذا السكوت هو الأليق بعظمة الله التي لا يجوز أن تكون في طريق الحوار بين موسى وقومه المستهزئين الساخرين .

ثم نفى إلى الحامنة حيث نفاهاً - كما لعل بني إسرائيل قد فوجئوا - بتلك المباغنة الضخمة انتفاض الميت معوثاً ناطقاً على ضربة من عص جسد لقرة بكاء مذبوحة !

ثم على مباحنة ربما كانت أغرب وأعجب . . أن هذه المعجزة التي تزلزل المشاعر وتهز القلوب ، لم تهز حجارة القلوب القاسية في إسرائيل : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة . . » وهذه المباغنة الأخيرة مقصودة من سياق القصة كلها في ذلك السياق العام قبلها ، لتصوير الطبيعة الإسرائيلية العجيبة ، التي لا تزيدها الآيات إلا صفاة ، ولا تزيدها الاختبارات إلا صلادة .

ودكر الحجارة هنا ، والموارمة بينها وبين القلوب الصلدة : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله . . » إنه لا يحىء إلا ليؤدى غرضاً فنياً في حو القصة وما يحيط به - إلى جانب العرض الديني الذي يؤديه - فلقد سبق الحديث عن الصخرة التي انفجرت منها اثنتا عشرة عينا ، والصخرة التي رفعت فوق بني إسرائيل ، كما سبق وصف الجو الصحراوي الذي يعيشون فيه ؛ فالتشبيه هنا بالحجارة تشبيه متزعج من البيئة ومن جو السياق العام ؛ وكأعما جاء لرسم المشهد المصاحب لعرض القصة ، ويحقق سمة التصوير الفني التي هي سمة بارزة في التعبير القرآني بوجه عام .

وهكذا يلتقي جمال التعبير بجمال التصوير ، ويتسقان مع سمو الأهداف وحلال الشاعر في هذا الجو العلوي الكريم (١) .

(١) يعالج فصل « التناسق الفني » في كتاب : « التصوير الفني في القرآن » هذه السمة تفصيل وتعميل .

السُّنَّة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي

(٧)

البواعث التي أدت إلى الوضع في الحديث

بيّنا في العدد الماضي أن الخلاقات السياسية كانت السبب الأول من أسباب الوضع في الحديث واليوم نتناول بقية هذه الأسباب وهي:

منايا الزعماء

ولم يكن بها هنا كراهية الإسلام ديناً ودولة ؛ فقد اكتسحت دولة الإسلام عروشاً وإمارات ، وزعامات كانت قائمة على تضليل الشعوب في عقائدها ، وإذلالها في كرامتها ، وتسخيرها للأهواء والمغائم الحسية ، وقذفها في أنوار الحروب التي كانت تثيرها رغبات الفتح والتوسع في نفوس الملوك والقواد . ورأى الناس في ظلال الإسلام كرامة للفرد ، واحتراماً للعقيدة ، وتحريراً للعقل ، وقضاء على الأوهام والأضاليل والشعوذة والتدجيل ؛ فأقبلوا عليه يدخلون فيه أفواجا أفواجا .

لقد كانت قوة الإسلام السياسية والعسكرية غالبية قاضية ، لم تبق لدى أولئك الزعماء والأمراء والقواد أي أمل في استعادة سلطانهم الزائل ، وبجدهم النهار ؛ فلم يجدوا أمامهم مجالا للانتقام من الإسلام إلا إفساد عقائده ، وتشويه محاسنه ، وتفريق صفوف أتباعه وجنوده .. وكان التزديد في السنة أوسع ميادين الدس والإفساد لديهم ، فخلوا فيه وصالوا ؛ متسترين بالتشيع أحيانا ، وبالزهد والتصوف أحيانا ، وبالفلسفة والحكمة أحيانا . وفي كل ذلك إنما يتوخون إدخال الخلل في بناء ذلك الصرح الشامخ الذي أقامه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقضى الله أن يظل أبد الدهر قائما سليما يبارك الخواص ، وترتد محاولات الهدامين في أساسه إلى محورهم حزائيا نادمين .

ومن أمثلة ما وضعوه لصدوا به الدين ، ويشوهوا كرامته لدى العقلاء والمنصفين ،

وليسحدروا بعقيدة العامة ، إلى درجة من السخف تثير سخرية الملحدين ، هذه الأحاديث الكذوبة الآتية :

« ينزل ربنا عشية عرفة على حمل أورق ، يصاح الركبان ويمائق المشاء » ، « خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدره » ، « رأيت ربي ليس بيني وبينه حجاب ، فرأيت كل شيء منه حتى رأيت تاجاً مخصوصاً من اللؤلؤ » ، « إن الله اشتكت عيابه فعادته الملائكة » ، « إن الله لما أراد أن يخلق معه خلق الخيل وأجراها ، فعرقت ؛ فخلق معه منها » ، « إن الله لما خلق الحروف سجدت الباء ووقفت الألف » ، « السطر إلى الوجه الجميل عادة » ، « الباذنجان شفاء من كل داء » .

وهكذا دس هؤلاء الزنادقة آلافاً من الأحاديث في العقائد والأخلاق والطب والحلال والحرام . وقد أقرّ زنديق أمام المهدي ، بأنه وضع مائة حديث نجول في أيدي الناس . ولما قُدّم عبد الكريم بن أبي العوجاء للقتل اعترف بأنه وضع أربعة آلاف حديث يحرم فيها الحلال ، ويحل فيها الحرام ، وقد لمس بعض خلفاء بني العباس ماوراء حركة الزنادقة من خطر على كيان الإسلام السياسي فتعقبوهم قتلاً وتشنيفاً . وأشهر من عمل في رقاهم سيف التأديب ، الخليفة المهدي الذي أنشأ ديواناً خاصاً للزندقة ، تتبع فيه أوكارهم ورؤسائهم من شعراء وأدباء وعلماء . ومن أشهر هؤلاء الزنادقة الوصاعين : عبد الكريم بن أبي العوجاء ، قتله محمد بن سليمان بن علي أمير البصرة ، وبيان بن سمعان المهدي ، قتله خالد بن عبد الله القسري ، ومحمد بن سعيد المضلوب ، قتله أبو جعفر المنصور .

ثالثاً : العصبية

للجنس والقبيلة واللغة والبلد والإمام ؛ كما وضع الشعوبيون حديث : « إن الله إذا غضب أزل الوحي بالمرية » ، وإذا رضى أزل الوحي بالفارسية « فقابلهم جهلة العرب بالمثل فقالوا : « إن الله إذا غضب أزل الوحي بالفارسية » ، وإذا رضى أزل الوحي بالمرية » . وكما وضع المتعصبون لأبي حنيفة حديث : « سيكون رجل في أمق يقال له أبو حنيفة العماني هو سراج أمق » . ووضع المتعصبون على الشافعي : « سيكون في أمق رجل يقال له محمد بن إدريس هو أضر على أمق من إبليس » ، ومثل ذلك يقال في الأحاديث الموضوعة في فضائل بعض البلدان والقبائل والأزمنة ، وقد بينها العلماء وميزوها من الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع .

رابعاً : القصص والوعظ

فقد تولى مهمة الوعظ قصاص لا يحافون الله ، ولا يهمهم سوى أن يبكي الناس في محاسنهم ، وأن يتواجدوا وأن يعجبوا بما يقولون ، فكانوا يضعون القصص المكذوبة ويسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال ابن قتيبة وهو يتكلم على الوجوه التي دخل منها الفساد على الحديث . . والوجه الثاني : القصص فإنهم يميلون وجه العوام إليهم ، ويشيدون ما عدهم بالمناكير والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العوام القمود عند القاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن نظر العقول أو كان رقيقاً يحزن القلب ، فإذا ذكر الجنة قال فيها الخوراء من مسك أو زعفران ، وعجيزتها ميل في ميل ، ويسوي الله وليه قصرأ من لؤلؤة يضاء فيها سبعون ألف مقصورة في كل مقصورة سبعون ألف قبة فلا يزال هكذا في السبعين ألفاً لا يتحول فيها .

ومن أمثلة هذا القسم : « من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً مقاره من ذهب وريشه من مرجان » ، ومن عجيب أمر هؤلاء القصاص ، جرأتهم على الكذب ووقاحتهم فيه ؛ فقد صلى أحمد بن حنبل ويعني بن معين بمسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاص ، فقال حدثنا أحمد بن حنبل ويعني بن معين قالا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساق الحديث السابق ، واستمر يذكر فيه نحواً من عشرين ورقة ، فجعل أحمد ينظر إلى يعني . ويعني ينظر إلى أحمد فقال : أأنت حدثت بهذا ؟ فقال : والله ما سمعت بهذا إلا الساعة ، فلما انتهى أشار له يعني فجاء متوها نوالاً فقال له يعني : من حدثك بهذا ؟ قال : أحمد بن حنبل ويعني بن معين ، فقال يعني : أنا يعني وهذا أحمد ما سمعت بهذا قط في حديث رسول الله ، فإن كان ولا بد فعلى غيرنا ، فقال القاص : لم أزل أسمع أن يعني بن معين أحق ما تحققته إلا الساعة ، فقال له يعني : وكيف ؟ فقال : أليس في الدنيا يعني بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويعني بن معين .

خامساً : الخلافات الفقهية والكلامية

فقد نزع الجهال والفسقة من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية إلى تأييد مذهبهم بأحاديث مكذوبة ؛ من ذلك : « من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له » ، « المضمضة والاستنشاق للجب ثلاثاً فريضة » ، « أمي جبريل عند الكعبة فجهر بسم الله الرحمن الرحيم » ، « من قال القرآن مخلوق فقد كفر » ، « كل من في السموات والأرض

وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن . وسيجيء أقوام من أمقى يقولون : القرآن مخلوق فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم وطلعت منه امرأته من ساعتها .

سادساً : الجهرل بالدين مع الرغبة في الخير

وهو صنف كثير من الزهاد والعباد والصالحين ؛ فقد كانوا يحتسبون وضعهم للأحاديث في الترغيب والترهيب ظناً منهم أنهم يتقربون بذلك إلى الله ويخدمون دين الإسلام ويحبون الناس في العبادات والطاعات ، ولما أنكر عليهم العلماء ذلك وذكروهم بقوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قالوا نحن نكذب له صلى الله عليه وسلم لا عليه . وهذا كله من الجهل بالدين ، وغلبة الهوى والعملة . ومن أمثلة ما وضعوه في هذا السيل ، حديث فضائل القرآن سورة سورة فقد اعترف بوضعه نوح بن أبي مريم ، واعتذر لذلك بأنه رأى الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بهقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحق . ومن هؤلاء الوضاعين علام خليل ، وقد كان زاهداً متخلياً عن الدنيا وشهواتها ، منقطعاً إلى العبادة والتقوى محبوباً من العامة ، حتى إن بغداد أغلقت أسواقها يوم وفاته حزناً عليه ، ومع ذلك فقد زين له الشيطان وضع أحاديث في فضائل الأذكار والأوراد حتى قيل له : هذه الأحاديث التي تحدث بها من الرقائق . . فقال وضعناها لفرق بها قلوب العامة . .

سابعاً : التقرب للمملوك والذمراء بما يوافق أهواءهم

ومن أمثلة ذلك ما فعله غياث بن إبراهيم ؛ إذ دخل على المهدي وهو يلعب بالحمام فروى له الحديث المشهور : « لا سبق إلا في نصل أو حافر » وزاد فيه « أو جناح » إرضاء للمهدي . . فمنحه المهدي عشرة آلاف درهم ، ثم قال بعد أن ولى : « أشهد أن قعالك كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » وأمر بدمج الحمام . وهالك أسباب أخرى للوضع : كالرغبة في الإتيان بخرب الحديث من متن وإسناد والاتسار للمتبعين ، والانتقام من فئة معينة ، والترويج لموع من الماء كل أو الطيب أو الثياب وقد توسع العلماء في ذكرها ، وضربوا لها الأمثال .

ونتيجة لما ذكرناه من بواعث الوضع نذكر فيما يلي أشهر أصناف الوضاعين وهم :

- (١) الزنادقة .
- (٢) أرباب الأهواء والبدع .
- (٣) الشعويون .
- (٤) التعصيون لجنس أو بلد أو إمام .
- (٥) التعصيون للمذاهب الفقهية مع جهل وقلة دين .
- (٦) القصاص .

(٧) الزهاد والمعتقون من الصالحين . (٨) التملقون للملوك والطلالون الرلعي إليهم .

(٩) المتطعمون على الحديث ممن يفاخرون بملو الإسناد وغريب الحديث .

ولا بد لي في ختام هذا البحث من إبداء ملاحظة كثيراً ما ترددت على خاطر ، ثم قويت أثناء كتابة هذا الفصل ؛ وهي ما كان لتساهل الخلفاء والأمراء مع الوضاعين من أترسيء حرّاً على الدين كثيراً من البلاء ، ولو وقفوا منها موقف الجد وقصوا على رؤسائها كما هو حكم الله في مثل هذه الحالة لما انتشر هذا الانتشار . بل رأينا — مع الأسف — أن خليفة كالمهدي رغمًا من اعترافه بكذب غياث بن إبراهيم وزيادته في الحديث تقربا إلى هواه ، كافأ بعشرة آلاف درهم . . . وما تقوله الرواية من أنه أمر بدمج الحمام لأنه كان سيئاً في هذه الكذبة فهو مدعاة للعجب ؛ إذ كان للمهدي أن يؤدب هذا الكاذب القاهر ، ويترك الحمام من غير ذبح ، بدلا من أن يذبح الحمام ويترك من يستحق الموت حراً طليقاً يعم بالملادين . . بل نحن نرى للمهدي تساهلا آخر مع كذاب آخر ، وهو مقاتل بن سليمان البلخي ؛ فقد قال له مقاتل : إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس وبنيه ، فقال له المهدي : لا حاجة لي فيها . . ثم لم يفعل معه شيئا . ونجد الرشيد — وقد ذكر له أبو البختری الكذاب حديثاً مكذوباً : أن النبي كان يطير الحمام — لا يزيد في تأنيب أبي البختری — وقد أدرك كذبه — على أن يقول له : اخرج عني ، لولا أنك من قريش لعزلتك ؛ وقد كان هذا الكذاب قاضياً للرشيد .

إن هذه المواقف مما يحاسب الله عليها هؤلاء الخلفاء الذين اشتدوا في تعقب الزنادقة والخارجين على حكمهم ؛ تعقبوهم قتلاً وإغراقاً وحقاً ليحتفظوا بالملك لأنفسهم ، ولم يفعلوا عشر هذا مع الكذابين والوضاعين الذين تقربوا إليهم بالكذب على رسول الله إرضاء لأهوائهم . ولقد كان القصاص يملأون المساجد بأكاذيبهم على مسمع من الأمراء والملوك ، وكان الكذابون من الزهاد وغيرهم يسرحون ويمرحون دون أن يجدوا من يضرب على أيديهم ويوقفهم عند حدهم . . ولولا أن هيا الله لدينه العلواء الأثبات ، والأئمة الحفاظ في كل مصر وعصر يذبون عن شريعة الله تحريف المحرفين ، ويحردون سنة رسول الله من كل ما خالطها من دس وتحريف ؛ لكانت المصيبة شاملة ، ولكانت معالم الحق في دين الله مدروسة مطموسة ، لا نستطيع أن نهتدي إليها إلا بشق الأعمس ، وهيهات أن نصل إلى اللباب الحق لولا نهضة السلف الجارة التي قاوموا بها الوضع والوضاعين ، وحفظوا بها حديث رسول الله من الكذب والكذابين إلى يوم الدين ؟

ركائز دعوة الإسلام

(١) الإيمان بالله

دعوة

وعدنا في العدد السابق أن نتناول الحديث عن الركائز الأربع تباعاً :
الإيمان بالله .
ووحدة أحكام الشريعة .
وأخوة الإسلام .
والجهاد في سبيل الله .

ولن يكون تناولنا لها تناولاً فلسفياً نترسل به مع التلذذ العقلي والفروض والظريات ، ولا تناولاً علمياً جافاً نقصد به الدورة العنية حول النصوص وفق أصول الفقه واصطلاحات الفقهاء . لا ؛ ونحن إنما أسميناها ركائز « دعوة الإسلام » حتى ترتسم بها معالم هذا الإسلام — وسط الدياجير القائمة التي تغشى المسلمين — دعوة حية واعدة تأخذهم إلى النور كما أخذت أسلافهم أول مرة وإنما تنجح « الدعوات » في التمكين لأهدافها ، وفي قهر كل صعب يقف دونها إذا ظلت محتفظة بأمرين اثنين :
« أولهما » : انبعاث الهممة في المؤمنين بها ، وإزكاء طاقاتهم وتحريكها ؛ وذلك لا يتم لها إلا إذا ظل خطابها غصاً حاراً يخاطب العاطفة والشاعر ، ويفر من الجدل العقيم .
« وثانيهما » : ألا يكون تعرضها للمشاكل القائمة بين يدي الناس إلا بمقدار ما ترسم لهم خطوطاً واسعة عريضة تتميز بها شخصيتها الجديدة ، وأن تقف في ذلك على حد دقيق لا يتأثر معه الأمر الأول باسترسال نظري ، أو جدل كلامي يتبعثر به الطاقة الباشقة ، ولا تقصر عنده الدعوة الجديدة عن التجاوب العملي مع الناس في إدراك حاجاتهم والشعور بمظالمهم ، وفي وضوح معنى « الإنقاذ » إذا هيئت لها أسباب العلبة والبصر .
هو حد دقيق صعب ، ولكنه وحده المقياس الصادق لكفاية أصحاب كل دعوة تستهدف تغيير أوضاع سيئة قائمة بأوضاع كريهة كثيرة التكاليف لم تتوَقَّر بعد أسباب قيامها ؛ وهو وحده الحد الذي تسد عنده أكثر الثغور على كل باغ مترص ، وتمضي به الدعوة حية قوية غير مضطرة أن تبذل فوق حاجتها ، أو أن تجامل أهواء الناس على حساب فكرتها .

داعية الإسلام الأول :

وداعية الإسلام الأول هو رسول الله صلى الله عليه ، وهو بسمته المشرق وأخلاقه العالية وأسلوبه الشاؤون وحياته كلها ، هو بكل ذلك صلى الله عليه وسلم التوب الذي نسخته يد الله لتلبسه معاني الإسلام للناس ، والصورة الإنسانية الكاملة في التحلق بأخلاقه وفي الدعوة إليه « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » (١) . فإذا كان القرآن هو المرجع الظري لدعاة الإسلام فإن سيرة داعيته الأول هي المرجع التطبيقي بين أيديهم ؛ إذا اختلفت أفهامهم حول آية ففهمه صلى الله عليه وسلم — حين ثبت — هو الفهم ، وإذا تباينت أساليب الدعوة فأسلوبه هو الأسلوب ، وإذا اضطربت الأذواق فذوقه هو الذوق الإلهي الرفيع .

مكان الإيمان في دعوة الرسول :

ولعلك إذا استقصيت شأنه صلى الله عليه وسلم مع الناس في كل أحواله لوجدته شأنًا واحدًا لا يختلف ، وحققة مستعلة لا تحبو أشعتها : كان « داعيًا إلى الله » يدكر بالله حاله ومقاله ؛ فهو في همه حين يهمس ، وفي هديره كالليل حين يخطب ، وفي قضائه حين يفصل بين الناس ، وفي ضربة سيفه أو رمح في جبهة القتال ، وفي حفظه لعهد مع معاهديه — وإن كانوا ألد الأعداء — وفي تنظيمه لساثر مشون المسلمين ، هو في ذلك جميعه يحمل حقيقة الرابنة الثابتة وراء فكره ولسانه ، ويسمى مع الحياة في مختلف جهاتها بدعوة سافرة يفهمها الأمل الذي لم يدخل مدرسة ، والعالم الذي أحرز من العلم أوفى نصيب .

« .. يا أيها الناس : إني رسول الله إليكم جميعا : الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو ، يحيي ويميت ؛ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » (٢) .

هي دعوة إلى « الإيمان » يدعو بها النبي الأمي الذي « يؤمن » بالله وكلماته ، كما دعا إليها الأنبياء جميعاً :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٣) .
« ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله » (٤) .

(٢) الأعراف ١٥٨ .

(٥) المؤمنون ٢٣ .

(١) النحل ٤٤ .

(٣) الأنبياء ٢٥ .

- « وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه » (١) .
 « وإلى عاد أخام هودا قال يا قوم اعبدوا الله » (٢) .
 « وإلى ثمود أخام صالحا قال يا قوم اعبدوا الله » (٣) .
 « وإلى مدين أخام شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله » (٤) .
 « ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين » (٥) .

وهكذا ترى الأنبياء كلهم دعاة إلى الله ، وترى الربانية هي صفتهم الأولى وغاية رسالاتهم جميعا : « هذا بلاغ للناس لينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب » (٦) وكل ما سوى ذلك من الشعائر والأحكام إنما هو ضمانات لازمة لصلة الناس بالله : تقويم أساسها ، وترسم حدودها وترد العاديات عنها ، وتحفظ الحياة كلها محرابا واسعا : « إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت » (٧) .

ولعل من أجمع ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا مكان الإيمان بالله في دعوته قوله : « إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإن قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » .

بساطة وإشراق :

وبقدر أهمية معنى الإيمان في دعوة الإسلام كان وضوحه وبساطته ، وإنك لن تجد في كل ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته شيئا مما امتلأت به كتب المسلمين من بعد من خلاقات فلسفية جامدة حول معنى الإيمان : إذا تعدى بالباء أو لم يتعد ، وهل يزيد أو ينقص ، وما هو وما التصديق وما الإسلام ، وهل القرآن مخلوق أو غير مخلوق .. إلى غير ذلك من التكلف الذي يذهب صفاء النفس وبشاشة الإيمان لقد كان المسلم الأول يجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لحظات لا يسمع فيها إلا كلمات معدودات يخرج بعدها مؤمنا أروع ما يكون الإيمان . وكان يكفيه أن يتلى عليه مثل قول الله عز وجل : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » (٨) فتخشع جوارحه ويستشعر في كلمة الغيب حقائق وراء حواسه ، وإلا لما كانت

(٢) الأعراف ٦٥ .

(١) الأعراف ٨٥ .

(٦) إبراهيم ٥٢ .

(٨) البقرة : ٢ ، ٣ .

(١) المكنوت ١٦ .

(٣) الأعراف ٧٣ .

(٥) الذاريات ٥٠ .

(٧) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

غيباً ، ثم يصيخ سمعه إلى آيات الله يستقبل فيها حقائق الغيب العليا ليؤمن بها كما هي ،
 فالله حق والسوة حق والملائكة حق والوحي حق والموت حق والبعث حق
 والحساب حق والجنة حق والنار حق وإيمانه بكل ذلك حقيقة محد
 هواتها في أعماقه يمثل صورتها السهلة المشرقة في رسوله صلى الله عليه وسلم قائماً
 يناجي ربه في جوف الليل : « اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ،
 والحمد لك أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ،
 ولقاؤك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ،
 اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت وإليك أنبت ، وبك خاصمت وإليك
 حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت الله لا إله إلا أنت »
 ثم إنك تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً يحرس هذا الإيمان السهل المشرق
 ويسد دونه مافد الفتنة والضلال : روى الأصمباني في الترغيب والترهيب أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال : « تفكروا في خلق الله ولا تنفكروا في الله ؛ فانكم لن تقدروا
 قدره » .. هكذا مضى السلف في إيمانهم بربههم ؛ شعارهم شعار نبهم : « .. وما أنا من
 المتكلفين ^(١) » وهكذا ينبغي أن تورث دعوتهم وبسلك سيابهم ، لا تزيد على كتاب الله
 وسنة رسوله ولا تنقص ، وما أجمل وأصدق كلمة الإمام مالك رضى الله عنه حين سئل
 عن قوله سبحانه : « ثم استوى على العرش » قال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول
 والسؤال عن ذلك بدعة » وما أسهل وأعذب جواب الرجل الصالح يحيى بن معاذ :
 سئل : « أخبرني عن الله عز وجل ؟ » فقال : « الله واحد . فقيل له : كيف هو ؟ فقال :
 ملك قادر ، فقيل له أين هو ؟ فقال : بالمرصاد . فقال السائل : لم أسألك هذا . فقال :
 ما كان غير هذا كان صفة المخلوق ، فأما صفته سبحانه فكما أخبرتك »

دليلان :

والدعوة إلى الإيمان تعتمد على دليلين اعتمد عليهما كل نبي ورسول : الفطرة ،
 والنظر في الكون ؛ وهما برهانان مركوزان في الإنسان وفي كل ما خلق الله
 لا ينقطعان أبداً ..

أما دليل الفطرة : فهو السر الكريم الذي فطر عليه الإنسان ، هو قبس النور
 فيه ، وحقيقة كرامته التي سجدت لها الملائكة « فإذا سويته وثقت فيه من روحى فقموا
 له ساجدين ^(٢) » هو صلة النسب بينه وبين الله عز وجل « إن في ذلك لذكرى لمن كان

له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد^(١) .. وذلك نسب غير النسب الآخر الذي يشده إلى الأرض : « وبدأ خلق الإنسان من طين » .. وللطين لغة وللروح لغة .. لغة الطين من عالمه وإن اختلفت حروفها ، ولغة الروح من عالمها الخفى القاهر .. إذا جاءت المدة لم تمنعها لغة الروح .. وإذا احتاجت الروح لم تمنعها زخارف الطين ، وإعما جاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليكلموا الناس بأرواح شفاقة موصولة بالله ، يقول أحدهم الكلمة فيجد لها الناس طعماً آخر ، ويتلو الآية فيحس الناس فيها خفق أجنحة الملائكة ، ونورا ينسكب من السماوات ، وروح ويعدو فيرى قومه فيه سرا يباشر حبات قلوبهم ، وحقيقة قابعة ماثلة كالشمس والقمر لا تنالها أيديهم وهى فى كل دار من دورهم ، ولا ينالون منها مثقال ذرة وهى على مرأى منهم ومسح ، وتأخذ منهم وتبدل من أحوالهم وهم حيارى يصخبون ويضحون ، ويجحد الجاحد منهم وفى أعماقه برهان الحق يمسك بتلابيبه « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا »

دليل الفطرة فى هذه الأعماق هو النافذة التى يطال منها الإنسان على الحقائق العليا وهو مطلع السبيل السواء إلى الله عز وجل : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم^(٢) » . فإذا سدت هذه النافذة وغاب شعاع الروح لم تعد تجدى أساليب الدعاة جميعاً لتأخذ الإنسان إلى الله خطوة واحدة « إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا^(٣) »

وإذا كان دليل الفطرة فى القلب هو أقوى أدلة الإيمان بالله وأولها ، فعنى ذلك أن أول ما يحتاجه الداعى إلى الله « قلب » يعمل فى أقواله وأفعاله حقائق حية من إيمانه وصدق صلاته بالله ، ولغة علوية يخاطب بها قلوب الناس .

الدليل الثانى : هو مظاهر قدرة الله فى كل ما خلق ؛ فإنك حينما نظرت فى نفسك أو فى الكون الواسع الذى يحيط بك وجدت نظاماً عجيباً فى كل شيء ، وانسجماً رائعاً بين أجزاء الكون ، وشعرت برهبة الإله القاهر الذى يمسك بأزمة هذه العوالم جميعاً « الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر حاسماً وهو خبير^(٤) » . وفى القرآن دعوة متكررة إلى التأمل فى الكائنات : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض^(٥) » يستثير بها الفطر الراكدة « أم خلقوا من غير شيء أم هم

(١) فى : ٣٧

(٢) الكهف : ٥٧

(٢) الروم : ٣٠

(٤) الملك : ٣ ، ٤

(٥) يونس : ١٠١

الخالقون، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون^(١)»، ويطارد بها عرور الإنسان وغفلته عن جبروت الله وقهره: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل أفلا تبصرون؟^(٢)» ويجعل السكون كله كتابا مفتوحا للقلب الخفي.

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد حط فيها - لو تأملت سطرها - ألا كل شيء ما خلا الله باطل

بل إن معلم الإيمان الأول صلى الله عليه وسلم ليتهدد بالويل كل غافل عن آيات الله في خلقه: جاء بلال مرة يؤذنه بصلاة الصبح فرآه يبكي فسأله عن سبب بكائه فقال: «ويحك يا بلال! وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الأبواب...)» ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها^(٣) وإنك لتهزك شفاعية قلبه المبارك حين تراه يكرم باكورة من العنب قطعت وقدمت إليه ثم تسمعه يقول: «إنه قريب العهد بربا».

هذه الحساسية العالية في صلة القلب المؤمن بآيات الله من حوله معنى يجب أن يحرص عليه المؤمن في نفسه، وحرى به أن يكون كذلك مادام يناجي ربه في كل ركعة من صلاته «الحمد لله رب العالمين»؛ كما يجب أن يحرص الدعاة إلى الله على تذكير الناس به وعلى تربيته في أنفسهم، وحذار أن يظنوا أنهم يستطيعون أن يأخذوا الناس إلى ربههم بغير ما أخذهم الله به: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير». وجميل أن يستعينوا في ذلك ببعض ما اكتشفه العلم الحديث من الدقائق المدهشة في حياة البات والحيوان، ومن الروعة المذهلة للكون الرهيب الذي نعيش فيه حتى تبدو الأرض وسطه - كما قال الدكتور مشرفة باشا رحمه الله - ذرة في صحراء واسعة. ولا بأس أن يستعينوا كذلك بأقوال العلماء الكونيين الذين هدام البحث إلى الإقرار بعظمة الخالق من أمثال ديكارت وإسحاق نيوتن وهرشل وهربرت سبنسر؛ فاعمل في هذا علاجا لمركب النفس الضعيفة، على ألا يعدو الدور الذي تؤديه الاستعانة بكل ذلك دور العصا مع السائر في الظلام يحملها بإحدى يديه يدفع بها وحشة الليل... أما اليد الأخرى فتحمل المصباح، تحمل النور الذي لا يبدد الظلام سواء «ومن لم يعمل الله له نورا فما له من نور»؟ (ينبع)

(١) الطور ٣٥، ٣٦ (٢) القصص ٧١، ٧٢

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «التفكير»

النشر في الجنائي الإسلامي

للأستاذ عبد القادر عوده

(٧)

في الأدلة على الزنا

١ - الأدلة على مهر الزنا : لا تثبت جريمة الزنا المعاقب عليها بالحد إلا بأدلة خاصة هي :

(١) الشهادة . (٢) الإقرار . (٣) القرائن .
وستكلم عن هذه الأدلة واحداً بعد الآخر .

أولاً : الشهادة

٢ - عدم شهر الزنا : من المتفق عليه أن الزنا لا يثبت إلا بشهادة أربعة شهود . وهذا إجماع لا خلاف فيه بين أهل العلم لقوله تعالى : « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » وقوله : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » وقوله : « لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإد لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون » .

ولقد جاءت السنة مؤكدة لمصوص القرآن ، من ذلك : أن سعد بن عباد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أ رأيت لو وجدت مع امرأتى رجلاً أمهله حتى آتى بأربعة شهداء ؟ » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم » . وروى عن رسول الله أنه قال لهلال بن أمية لما قذف شريك بن سحاء بامرأته : « أربعة شهود وإلا لحد في ظهرك » . وليس لكل إنسان أن يشهد فتقبل شهادته ؛ وإنما الشاهد الذي تقبل شهادته هو من توفرت فيه شروط معينة ، بعضها عام يجب توفره في كل شهادة ، وبعضها خاص يجب توفره في الشهادة على الزنا .

٣ - الشروط العامة للشهادة : والشروط العامة التي يجب أن تتوفر في كل شهادة هي :

١ - البلوغ : يشترط في الشاهد أن يكون بالغاً ، فإذا لم يكن كذلك فلا تقبل

شهادته ، ولو كان فى حالة نكته من أن يعى الشهادة ويؤديها ، ولو كان حاله حال أهل العدالة وذلك لقوله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » والصبي ليس من الرجال وليس ممن ترضى شهادته ، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » ولأن الصبي لا يؤمن على حفظ أمواله ؛ فأولى أن لا يؤمن على حفظ حقوق غيره . وإذا كانت شهادة الصبي لا تقبل فى الأموال ؛ فلأن لا تقبل فى الجرائم أولى ، وفيها عقوبة متلفة للنفس أو للعضو (١) .

وإذا كانت القاعدة العامة فى الشريعة أن لا تقبل شهادة من هو دون البلوغ ، فإن مالكا يرى — استثناء من هذه القاعدة — قبول شهادة الصبيان بعضهم على بعض فى الدماء بشروط خاصة أهمها : أن يكون الشاهد مجزأ ؛ أى ممن يعقل الشهادة ، وأن لا يحضر الحادث كبير . وقد أحاز مالك شهادة الصبيان فى هذه الحالة للضرورة (٢) . وهذا رأى رواية عن أحمد ؛ حيث يرى قبول شهادة الصبيان فى الجراح إذا شهدوا قبل الافتراق عن الحالة التى تجارحوا عليها ، لأن الظاهر صدقهم وضبطهم ؛ فإن تفرقوا لم تقبل شهادتهم لاحتمال أن يلقنوا . وروى عن أحمد رواية ثالثة : تلخص فى أن شهادة الصبي تقبل إن كان ابن عشر . ولكن البعض يخص هذه الرواية بغير الحدود والعصا (٣) . وفى مذهب الزيدية رأى مرحوح ، يرى أصحابه جواز شهادة الصبيان بعضهم على بعض ، فى الشجاج ما لم يفرقوا . ويتأول بعضهم هذا رأى فيقول : إن الشهادة تقبل للتأديب لا للحكم (٤) .

٢ — العقل : يشترط فى الشاهد أن يكون عاقلاً . والعقل من عرف الواجب عقلاً : الضرورى وغيره ، والممكن وللمتنع ، وما يضره وما ينفعه غالباً ؛ فلا تقبل شهادة مجنون ولا معتوه ، ولكن تقبل الشهادة ممن يجن أحياناً فى حالة إفاقته إذا كان يفيق إفاقته يعقل معها الشهادة ، ولا تقبل شهادة المجنون لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » . كما أن شهادة المجنون لا تقبل ، للمعنى المانع من قبول شهادة الصبي (٥) .

(١) مواهب الجليل سادس من ١٥٠ — شرح فتح القدير رابع من ١٦٩ ، وحاشية ابن عايد

رابع ٥١٣ ، ٥٢٥ — المذهب ثان من ٢٤٢ — الإقناع رابع من ٤٣٦ — المحلى تاسع من ٤٢٠ —

شرح الأزهار رابع من ١٩٢ ، ١٩٣ (٢) مواهب الجليل سادس ١٧٧

(٣) الفتى ثانى عشر من ٢٧ (٤) شرح الأزهار رابع من ١٩٣

(٥) مواهب الجليل سادس من ١٥٠ — المذهب ثان ٣٤٢ — أسى المطالب رابع من ٣٣٩

الإقناع رابع من ٤٣٦ — شرح فتح القدير رابع من ١٦٩ — البحر الرائق سابع من ٨٥ —

المحلى تاسع من ٤٢٩

٣ — الحفظ : ويشترط في الشاهد أن يكون قادراً على حفظ الشهادة ، وفهم ما وقع بصره عليه ، مأموناً على ما يقول ؛ فإن كان مغفلاً لم تقبل شهادته ويلحق بالعملة كثرة العلط والنسيان ، ولكن تقبل الشهادة ممن يقل منه العلط ؛ لأن أحداً لا ينفك من العلط .
والعلة في عدم قبول شهادة المغفل — ولو كان عدلاً — أنه لا يؤمن على ما يقول ، ولا مع عدالته من أن يتمل فيشهد على الرجل مثلاً ولا يعرفه ، يتسمى له بغير اسمه ، كما أنه يخشى عليه أن يلحق فيأخذ بما ألقى إليه . لكن إذا لم يكن في الشهادة ما يدعو إلى التيسيس فنقل شهادة المغفل ، نحو قوله : رأيت هذا الشخص قتل هذا الشخص ، أو رأيت فلاناً بطاً فلانة (١) .

على أن أبا يوسف صاحب أبي حنيفة يؤثر عنه أنه كان يجيز شهادة المغفل ، ولا يجيز تعديله ؛ لأن التعديل يحتاج إلى الرأي والتدبير ، والمغفل لا يستقصى في ذلك . بينما كان محمد يرد شهادة الصوام القوام المغفل ويقول : إنه شر من الفاسق في الشهادة (٢) .
والزيدون يردون شهادة من علب عليه السهو والنسيان ؛ فإن تساوى ضبطه ونسيانه فالأكثر لا يصححون شهادته ، والأقلون يحملونها موضع اجتهاد (٣) .

٤ — الكلام : يشترط في الشاهد أن يكون قادراً على الكلام ؛ فإن كان أخرس فقد اختلف في قبول شهادته ؛ ففي مذهب مالك يقبلون شهادة الأخرس إذا عرفت إشارته ، وفي مذهب أحمد لا يقبلون شهادة الأخرس ولو فهمت إشارته ، إلا إذا كان يستطيع الكتابة فأدى الشهادة بخطه ، وفي مذهب أبي حنيفة لا يقبلون شهادة الأخرس سواء كانت بالإشارة أو الكتابة ، وفي مذهب الشافعي خلاف على قبول شهادة الأخرس ؛ فمنهم من قال تقبل لأن إشارته كعبارة الناطق في نكاحه وطلاقه ، فكذلك في الشهادة ، ومنهم من قال لا تقبل لأن إشارته أقيمت مقام العبارة في موضع الضرورة ، وقد قبلت في النكاح والطلاق للضرورة لأنهما لا يستفادان إلا من جهة ، ولا ضرورة تدعو لقبول إشارته في الشهادة لأنها تصح من غيره بالطق ، ومن ثم لا تجوز بإشارته ، وفي مذهب الريدة رأيان : أحدهما أن شهادة الأخرس لا تصح إطلاقاً ، والثاني أنها تصح (٤) .

(١) مواهب الجليل سادس من ١٥٤ — المذهب ثان من ٣٤٢ — أسنى المطالب رابع من ٣٥٣ — الإقناع رابع من ٤٣٧ .
(٢) البحر الرائق ص ٨٥ . (٣) شرح الأزهار من ١٩٧ .
(٤) مواهب الجليل سادس من ١٥٤ — الإقناع رابع من ٤٣٦ — البحر الرائق ص ٨٥ .
المذهب ثان من ٣٤٢ — شرح الأزهار رابع ٩٢١

٥ - الرؤية : ويشترط في الشاهد أن يرى ما يشهد به ، فإن كان الشاهد أعمى فقد اختلف في قبول شهادته ؛ فالحنفيون لا يقبلون شهادة الأعمى ؛ لأن أداء الشهادة يحتاج إلى أن يشير الشاهد إلى الشهود له والشهود عليه ، ولأن الأعمى لا يميز إلا بالنعمة وفي تميزه شبهة ، وهم لا يقبلون شهادة من كان أعمى وقت أداء الشهادة ولو كان بصيراً وقت تحمل الشهادة ، بل إهم يردون شهادة البصير الذي عمى بعد أداء الشهادة وقبل القضاء لأنهم يشترطون الأهلية في الشاهد وقت القضاء لتكون شهادته حجة .

وهم لا يقبلون شهادة الأعمى سواء فيما كان طريقه الرؤية ، وما كان طريقه السماع والشهرة والتسامع . ولكن أبا يوسف يميز شهادة الأعمى فيما طريقه السماع مطلقاً ، ويميزها فيما طريقه الرؤية إذا كان بصيراً وقت التحمل أعمى عند الأداء إذا كان يعرف الخصوم بأسمائهم وأنسابهم ، ويرى زوراً أن شهادة الأعمى تجوز فقط في غير الحدود والقصاص فيما يجري فيه التسامع كالسب والموت وهذا القول رواية عن أبي حنيفة (١) ويقبل المالكيون شهادة الأعمى في الأقوال ولو كان قد تحملها بعد العمى مادام فطنا لا تشبه عليه الأصوات ويتيقن الشهود له وعليه ؛ فإن شك في شيء من ذلك لم تجز شهادته . أما شهادة الأعمى في المراثيات فلا تقبل إلا أن يكون قد تحملها بصيراً ثم عمى ، وهو يتيقن عين الشهود له أو يعرفه باسمه ونسبه (٢)

ويميز الشافعيون شهادة الأعمى فيما يثبت بالاستفانة كالسب والموت لأن طريق العلم به السماع ، والأعمى كالبصير في السماع ، ولا يجوزون أن يكون شاهداً في الأفعال كالقتل والنصب لأن طريق العلم بها البصر ، ولا شاهداً في الأقوال كالبيع والإقرار والنكاح والطلاق إذا كان الشهود عليه خارجاً عن يده لأن شهادته ستقوم على العلم بالصوت وحده والصوت يشبه الصوت ، فأما إذا كان الشهود عليه في يده كرجل أقر ويد الأعمى على رأسه فشهد وهو في يده لم يفارقه فتقبل الشهادة لأنها عن علم ويقين . وإذا تحمل الشهادة وهو بصير قبلت شهادته إذا كان الخصوم معروفين له بالاسم والنسب ، أو إذا كان الشهود عليه في يده لم يفارقه بعد العمى . ويرى بعض فقهاء المذهب قبول شهادة الأعمى مطلقاً في الأقوال إذا عرف الصوت (٣) .

(١) البحر الرائق وحاشية منحة الخالق سابع من ٨٤ ، ٨٥ - طرق الإثبات الشرعية

من ١٠٩ ، ١١٠

(٢) مواهب الخليل سادس ١٥٤

(٣) المذهب ثان من ٣٥٣ - أسى الطالب رابع من ٣٦١

وفي مذهب أحمد يجيزون شهادة الأعمى كلما تيقن الصوت : أى أنهم يجيزون شهادته في الأقوال مطلقاً . أما في الأفعال فيجيزون شهادته في كل ما تحمله قبل العمى إذا عرف للشهود عليه باسمه ونسبه (١) .

ومذهب الزيديين لا يكاد يختلف عن مذهب الشافعى ؛ فالقاعدة عندهم أن شهادة الأعمى لا تصح فيما يفتقر إلى الرؤية عند الأداء ، فإذا شهد بما يحتاج إلى المعاينة عند أداء الشهادة لا تقبل شهادته إلا أن يكون المشهود عليه في يده من قبل ذهاب بصره كوثوب متارع عليه ، فإذا لم تكن للمعاينة لازمة عند الأداء قبلت شهادة الأعمى فيما يثبت بطريق الاستعاضة كالنسب والنكاح ، فإن كان مما لا يثبت بطريق الاستعاضة قبلت شهادته فقط فيما تحمله قبل ذهاب بصره لأن الشهادة على الصوت وحده لا تصح . على أن البعض يرى قبول الشهادة كلما عرف الأعمى الصوت على وجه اليقين (٢) .

أما الظاهريون فيقبلون شهادة الأعمى مطلقاً في الأقوال والأفعال وفيما تحمله قبل العمى وفيما تحمله بعده ، ويردون على من يقولون إن الأصوات تشبه بأن الصور أيضاً تشبه ، وما يجوز لبصر أو أعمى أن يشهد إلا بما يوقن ولا يشك فيه ، وإن الأعمى لو لم يقطع بصحة اليقين على من يكلمه لما حل له أن يظن امرأته إذ لعلها أجنبية ، ولا يعطى أحداً ديناً عليه إذ لعله غيره ، ولا أن يبيع من أحد ولا أن يشتري . وإن الله جل شأنه أمر بقبول البيعة ولم يشترط أعمى من مبصر وما كان ربك سبياً (٣) .

٦ — العدالة : ولا خلاف في اشتراط العدالة في سائر الشهادات ، ويجب أن يكون الشاهد عدلاً لقوله تعالى : « وأشهدوا دوى عدل منكم » ولقوله « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » فأمر جل شأنه بقبول شهادة العدل وبالتوقف في نبأ الفاسق ، والشهادة نبأ . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ، ولا محدود في الإسلام ، ولا دى غمز مع أخيه » رواه أبو عبيد ، وكان يفسر الخيانة بحيث تشمل جميع ما افترض الله تعالى على العباد القيام به أو اجتنابه من صغير ذلك وكبيره ، ولا يخصصها بأمانات الناس . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » .

والعدالة كما يعرفها المالكيون هي المحافظة الدينية على اجتناب الكبائر وتوقي

(١) المنقح ثانى عشر من ٦١ ، ٦٢

(٢) شرح الأزهار رابع من ١٩٩ ، ٢٠٠

(٣) المحلى تاسع من ٤٣٣ ، ٤٣٤

الصغار ، وأداء الأمانة وحسن المعاملة . وليست العدالة أن يحض الإنسان الطاعة حتى لا يشوبها معصية إذ ذلك متعذر لا يقدر عليه إلا الأولياء والصديقون ، لكن من كانت الطاعة أكثر حاله وأعلاها عليه ، وهو مجتنب للكبار يحافظ على ترك الصغار فهو العدل (١) .

ويعرف الحفيون العدالة بأنها الاستقامة على أمر الإسلام ، واعتدال العقل ومعارضة الهوى ، وليس لكاملها حد يدرك ، فيكتفى لقبولها بأدنى حدودها وهو رجحان جهة الدين والعقل على الهوى والشهوة . وعندهم أن العدل هو من لم يطعن عليه في بطن ولا فرج ، وهو من يكون مجتنباً للكبار غير مصر على الصغار ، ومن يكون صلاحه أكثر من فساد ، وصوابه أكثر من خطئه ، ومن تكون مروءته ظاهرة (٢) . ويعرف الشافعيون العدالة بأنها اجتناب الكبار وعدم الإصرار على الصغار ؛ فمن تجنب الكبار والصغار فهو عدل ، ومن تجنب الكبار وارتكب الصغار ، وكان ذلك نادراً من أفعاله لم يفسق ولم ترد شهادته لأنه لا يوجد من يحض الطاعة ولا يخلطها بمعصية ، وإن كان ذلك غالباً في أفعاله فسق وردت شهادته لأن من استجاز الإكثار من الصغار استحاز أن يشهد بالزور ؛ فالحكم معلق على الغالب من أفعاله (٣) . ويعرف الحنابلة العدالة بأنها استواء أحوال الشخص في دينه واعتدال أقواله وأفعاله (٤) . ويعتبر لها شيان : أولهما : الصلاح في الدين ، وهو أداء القرائن بسنتها الراتبة ؛ فلا تقبل الشهادة ممن داوم على تركها لفسقه ، واجتناب المحرم فلا يرتكب كبيرة ولا يدمن على صغيرة — وثانيهما : استعمال المروءة وهو ما يحمله وزينه ، وترك ما يدينه ويشينه عادة .

ويلاحظ أن فقهاء المذاهب السابقة يلحظون بشرط العدالة المروءة لأن ترك المروءة يدل على عدم المحافظة الدينية وهي لازم العدالة .

والمروءة عند المالكيين هي المحافظة على فعل ما تركه مباح يوجب الدم عرفاً كترك الملى الاتعمال في بلد يستقبح فيه مشى مثله حافياً ، وعلى ترك ما فعله مباح يوجب دمه عرفاً كالأكل في السوق وفي حانوت الطباخ لعير الغريب . ولا يراد بالمروءة نظافة الثوب وفراهة المركوب وجودة الآلة وحسن الشارة ، بل المراد التصون والسمت

(١) مواهب الحليل سادس من ١٥٠

(٢) البحر الرائق ص ١٠٤ — حاشية ابن عابدين رابع من ٢٢٢

(٣) المهذب ثان من ٢٤٣ — أسنى المطالب رابع من ٢٢٩ ، ٢٤٠

(٤) الإقناع رابع من ١٣٧ ، ٢٣٨ — المنى ثان عشر من ٢٢ وما بعدها .

الحسن ، وحفظ اللسان وتجنب المجنون والسخف ، والارتفاع عن كل خلق ردىء يرى أن من تخلق به لا يحافظ معه على دينه وإن لم يكن في نفسه حرمة (١) .

والمروءة عند الحنفيين أن لا يأتي الإنسان بما يعتذر منه مما يبحسه عن مرتبته عند أهل العذل ، وقيل السمت الحسن وحفظ اللسان وتجنب السخف والمجون والارتفاع عن كل خلق ردىء . والمروءة عند محمد هي الدين والصالح (٢) .

والمروءة عند الشافعيين هي الإنسانية وهي مشتقة من الرء ، وعدم أن من ترك الإنسانية لم يؤمن أن يشهد بالزور ؛ لأن من لا يستحي من الناس في ترك المروءة لم يبال بما يصنع . ويستدلون على ذلك بما روى أبو مسمود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

والمروءة عند الحنابلة هي نمسك الإنسان بما يحمله وزينه ، وترك ما يشينه ، أو هي اجتناب الأمور الدينية المزربة بالإنسان من فعل أو قول أو عمل (٣) .

والعدل في المذهب الزيدى هو من كان مزمها عن محطورات دينه ؛ فالعدالة إذن عندهم هي التزمه عن المحطورات الدينية (٤) ، ويعرفها بعضهم بأنها ملازمة التقوى والمروءة . والعدل عند الطاهريين من لم تعرف له كبيرة ولا بجاهرة بصغيرة . والكبيرة هي ماسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم كبيرة ، أو ما جاء فيه الوعيد ، والصغيرة ما لم يأت فيه وعيد . وهم لا يشترطون المروءة لتحقيق العدالة ، ويرون الاكتفاء بالطاعة واجتناب المعصية لأنه إذا كانت المروءة من الطاعة فهي نفى عنها ، وإن لم تكن من الطاعة فلا يجوز اشتراطها في أمور الديانة إذ لم يأت بذلك قرآن ولا سنة (٥) .

٧ — الإسلام : ويشترط في الشاهد أن يكون مسلماً فلا تقبل شهادة غير المسلم سواء كانت الشهادة على مسلم أو غير مسلم . وهذا هو الأصل الذي يسلم به جميع الفقهاء ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : « وأقيموا الشهادة لله » وقوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » وقوله : « وأشهدوا ذوي عدل منكم » .

(١) مواهب الجليل سادس من ١٥٢

(٢) البحر الرائق سابع من ١٠٠

(٣) المهذب ثان من ٣٤٣

(٤) المغنى ثان عشر من ٣٣ ، ٣٤ — الإقناع رابع من ٢٣٧

(٥) شرح الأزهار رابع من ١٩٤ — البحر الزخار خامس من ٥٠ (الجامع لمداهب علماء

الأمصار تأليف أحمد ابن يحيى المرتضى)

(٦) المحلى تاسع ٣٩٣ ، ٣٩٥

في لفظة الإكراه

النية واللفظ في العقود

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بكلية الحقوق بجامعة مؤاد

العقد هو الارتباط بين إرادتي المتعاقدين بحيث ينتج عنه التزام أو نقل . والإرادة أمر باطى فلا يمكن أن يدور الحكم عليها في إنشاء الالتزامات ، بل الحكم يكون لمظهر هذه الإرادة من قول أو فعل أو إشارة تعبر عنها .

من أجل ذلك ، كما يقول ابن تيمية ؛ إذا نوى رجل طلاق زوجته لم يقع بمجرد النية طلاق بالاتفاق (١) . ومن باع داره لآخر وفي نيته أنه غير ضامن لما قد يكون عليها من حقوق عينية ، لا تعتبر هذه النية إن لم يصرح بها حين العقد .. إلى غير هذا وذلك من الأمثلة الكثيرة الأخرى .

وإذا كان الحكم في العقد يتبع كلام المتعاقدين الذي به نشأ العقد ، فما هذا إلا لأنه الترجمان الصادق لإرادة كل منهما ، ولكن قد لا يكون الأمر هكذا في كل حال ، كما يتضح هذا مما يأتي :

(أ) قد يريد الإنسان أمراً ، وتأتي عبارته موافقة له معبرة تماماً عما أراد التزمه مع قصده له .

(ب) قد تفيد عبارته الالتزام ، ولكن من صدرت عنه العبارة لا يفهم أنها تدل عليه فهو لا يقصده .

(ج) قد يفهم أنها تفيد الالتزام ؛ ولكن صدرت عنه خطأ ، أو هزلاً ، أو عن غير وعي لها .

(د) وقد يحدث أن العبارة التي تلفظ بها تفيد الالتزام ، وصدرت عنه قصداً ، ولكنه لا يريد بها إنشاء أى عقد أو التزام .

(١) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ، تأليف بدر الدين الحنبلي البجلي المتوفى عام ٧٢٢ هـ ،

(هـ) قد تصدر عنه العبارة للعيدة للالتزام وإنشاء العقد وهو يفهم ذلك ، لكنه أكره عليها .

(و) وقد يستعمل العقد تعبيراً يدل بوضعه على إنشاء عقد خاص ، ولكنه يريد به عقداً آخر .

(ر) وربما يجعل أحد العاقدين العقد وسيلة لغرض غير مباح شرعاً .

تلك هي الفروض أو الحالات التي يمكن أن تصدر فيها العبارات الدالة على إنشاء عقد من العقود أو التزام من الالتزامات ، فما حكم كل حالة منها ؟ أو ما هو أثر العبارة في كل من هذه الحالات بالنسبة لانعقاد العقد وترتب آثاره عليه ؟

(أ) في هذه الحالة الأولى ينعقد العقد ، ما دامت العبارة التي صدرت من كل من طرفيه معبرة تماماً عن إرادته في إنشاء العقد وترتب آثاره عليه . وهذه هي الحالة التي نراها في أغلب ممارسه من عقود في النواحي المختلفة من المعاملات ؛ فالعادة أن يسبق إبرام العقد من هذه العقود معرفة كل من الطرفين بما يريد وتعبيره بإيجابه أو قبوله عما يقصده .

(ب) وفي الحالة الثانية ، حالة عدم فهم من تلفظ بالإيجاب أو القبول أن عبارته تفيد الالتزام ، نرى أن المنطق الصحيح يقضي بعدم اعتبار ما تلفظ به إيجاباً أو قبولاً ، لأنه لا يعبر طبعاً عن إرادة قائله وقصده ما دام لا يفهم معنى هذا الذي جرى به لسانه . إلا أن لبعض العقود طبيعة خاصة تناسب ما لها من خطر ، فهي لهذا تنعقد — في رأي بعض الفقهاء — ممن يردد الألفاظ التي تفيد انعقادها ولو لم يفهم لها معنى ، وهذا رأي لا نوافق عليه لما لهذه العقود من خطر يوجب أن يفهم كل طرف فيها ما هو مُتقدم عليه ! أما غير هذه العقود فلا تنعقد بتريده ألفاظ وعبارات لا يفهم معناها من تصدر عنه ، ولا يترتب على أي عقد منها أي أثر شرعي .

حاء في فتح القدير^(١) : « لو لُقِّنت المرأة (زوجت نفسي) بالعريّة ولا تفهم معناها ، وقبل الزوج ، والشهود يعلمون ذلك أولاً يعلمون ، صح كالطلاق ، وقيل لا كالبيع ، كذا في الخلاصة ، ومثل هذا في جانب الرجل إذا لُقِّنته ولا يعلم معناه ، وهذه في جملة مسائل : الطلاق والعنق والتدبير والنكاح والحلح ... لأن العلم بمضمون

(١) ج ٢ : ص ٣٤٩ من طبعة مصطفى محمد بالقاهرة .

اللفظ إنما يعتبر لأجل القصد ، فلا يشترط فيما يستوى فيه الجدة والهزل ، بخلاف البيع .. وكذا المديون إذا لمعّن رب الدين لفظ الإبراء ، لا يبرأ » .

ودكر هذا علماء الدين الحنكفي للتوفي عام ١٠٨٨ هـ ، صاحب الدر المختار ، في كتاب النكاح أيضاً إذ يقول (١) : « ولا يشترط العلم بمعنى الإيجاب والقبول فيما يستوى فيه الجدة والهزل ، إذ لم يُحتج لنية ، به يفق » .

(ح) هذه الحالة الثالثة ، وهي حالة النائم والمجنون والصبي غير المميز وأمثالهم ، يكون كل من الإيجاب والقبول عبارات مبهمة لا أثر لها مطلقاً في إنشاء أي عقد أو التزام ، وذلك لانعدام أساس الالتزامات وهو إرادة الالتزام والتصد إلى إيشائه .

وحالة السكران كذلك ، ولكن جمهرة الفقهاء رأوا مؤاخذته بعبارته التي تصدر عنه عقاباً وزحراً له ، ورتبوا عليها الآثار التي تلزمها ؛ سواء في هذا عقود البيع أو غيرها من العقود بالمعنى العام التي تكون من طرف واحد ، أو بالمعنى الخاص وهي العقود التي تكون من طرفين .

من هؤلاء الفقهاء أبو جعفر الطحاوي الحنفي للتوفي عام ٣٢١ هـ ، إذ يقول في مختصره (٢) : « وطلاق المجنون كذلك (أي باطل) ، وطلاق السكران جائز عليه » . ثم يقول : « وطلاق السكران وعتاقه وأفعاله كلها وأقواله ، كأفعال الصحيح وأقوال الصحيح ، إلا الرخصة فإن زوجته لا تبين منه بهذا » .

وبجانب هؤلاء الفقهاء ، ترى فئة من الفقهاء المالكية وغيرهم يحملون السكران كالمجنون (٣) ؛ فلم يرتبوا أي أثر على ما يصدر عنه من أقوال ، ومن ثم لا ينشأ عنها أي عقد أو التزام . وبهذا الرأي أخذت لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ؛ إذ جاء في المادة الأولى من الرسوم رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ : « لا يقع طلاق السكران والمكره » .

ولعل هذا الرأي أدنى للعدل وضمان حسن المعاملات بين الناس ، وبخاصة ولاسكراً جزاؤه الأخروي والديني أيضاً — إن أقمنا شريعة الله وحدوده — فلا معنى لتحصيل من يقترب هذا الإثم جزاء آخر تضطرب به العقود والمعاملات .

(١) ج ٢ : ٢٧٤ — ٢٧٥ . وقد نقل ابن عابدين في هذا الموضع كلام صاحب « فتح القدير » ، موافقاً له .

(٢) ص ١٩١ من طبعة القاهرة عام ١٣٧٠ هـ .

(٣) مواهب الحليل للحطاب ، ج ٤ : ٢٤١ — ٢٤٢ .

وقد ألحق الشافعية بهؤلاء الذين لا يذكر كون ما يقولون ، من تلفظ بتعبير خطأ بديل
تعبير آخر كان يريد التلفظ به فسبق لسانه للأول . هذا الخطأ لا يترتب على خطئه
اللساني أى أثر ، فلا ينشأ عنه عقد أو التزام عند الفقهاء الشافعية . لكن الأحناف
لا يرون هذا الرأى ؛ لأن الإرادة أمر باطنى لا نعرفها إلا بما يصدر عن صاحبها دالا
عليها ، فإن قبلنا دعوى من يدعى أنه أخطأ في التعبير ، كان هذا عوناً مساعداً على
إضاعة حقوق الطرف الآخر في العقد . ومثل هذا الخلاف بين الشافعية والأحناف
في حالة الخطأ ، يجرى أيضاً في حالة الناسى والغافل عن معنى ما صدر عنه من قول
وتعبير ؛ فقد رتب الأحناف على هذه الأقوال آثارها الشرعية ، وأهمها الشافعية فلم
يقيموا لها أى وزن أو تقدير (١) .

بقى من أمثال الحالة التى نحن بصددتها ، حالة الهزل الذى يدرك ما يقول إلا أنه
لا يعنيه ولا يرتب عليه أى أثر .

وهنا نجد الشافعية قد عنوا بالناحية الظاهرة دون النية التى لا يعلمها إلا الله ، وذلك
حتى لا تضطرب العقود والعاملات التى تجرى بين الناس ؛ ولهذا لا يقيمون وزناً لقول
أحد طرفي العقد بأنه كان هازلاً لا يعنى ما ندل عليه عبارته من إنشاء العقد والالتزام .
أما الأحناف والمالكية والحنبلة فيفرقون بين حالة الجذ وحالة الهزل ؛ ففي الأول
يكون للتعبير أثره مادام يقصد صاحبه منه الدلالة على إرادته الناطقة ، وفي الثانية لا يرتبون
أى أثر على إيجاب الهزل أو قبوله متى قام الدليل على أنه هازل ، وذلك لانعدام أساس
العقد حينئذ وهو القصد والإرادة لإنشائه .

وهذا المذهب سائد عند بعض المالكية في جميع العقود ، من بيع وإجارة ورهن
ونحو ذلك من حقوق العباد ، وكذلك في العقود التى فيها حق الله مثل الزواج والطلاق
والعتاق . بينما آخرون من المالكية ، وكذلك الأحناف والحنبلة ، لا يرون هذا الرأى
إلا في العقود المالية وما فى حكمها مثل البيع ونحوه . أما فى الزواج والطلاق والرجعة
والعتق واليمين ، فقد استثنوها من القاعدة العامة ، وجعلوا الهزل فيها كالجد ؛ إذ لا ينهى
الهزل فيها يتعلق بالله وحقوقه .

هذا ، وللهزل صور كثيرة ، منها :

١ - ما يفعله البعض فى الزواج من الاتفاق سرّاً على مهر معين ، ثم يذكرون
مهرّاً آخر يزيد عن الأول أمام الناس حين العقد .

(١) تراجع كتاب الأشباه والنظائر للسيوطى ، فى أحكام النسيان .

٢ - أن يخاف إنسان عدوان غاصب، فيتظاهر ببيع بعض ما يملك لآخر فراراً من الظلم، ويتم العقد أمام الناس دون قصد حقيقة لعقده، وهو ما يسمى ببيع التلجئة.
٣ - أن يتفق البائع والمشتري على زيادة الثمن زيادة صورية، إبعاداً للشفيع عن طلب الشفعة.

في هذه الصور وأمثالها، لا يكون لما صدر هزلاً أية قيمة أو أثر إلا عند الشافعية الذين يعتمدون كآرائنا ظواهر الألفاظ والتعابير دون نظر للقصد الصحيح والنية الباطنة. وإذا فُقد الزواج الذي صدر علانية بمهر يزيد عن المتفق عليه سرّاً، لا يجب به إلا المهر المتفق عليه سرّاً^(١). أما عقد الزواج نفسه فقد وقع صحيحاً بلا خلاف؛ لأنها كما في عقده جاذين لاهارلين، والذي نسميه هزلاً كان في المهر وقدره فقط. على أن الهزل لو كان في نفس العقد لما أبطله؛ لأن الزواج لا يمتثل المهرل عند جميع الفقهاء إذا استثنينا بعض المالكية. وفي هذا يقول الكمال بن الهمام^(٢): «وأما الهازل فمريد بمعنى اللفظ غير مريد لحكمه، فلا يلتفت لقصده عدم الحكم». ثم جاء في الحديث: «ثلاث جدّهن جد، وهزلن جد: النكاح والطلاق والرجعة» وفي رواية: والعناق بدل الرجعة.

وبيع التلجئة ليس له من البيع إلا صورته، فلا قيمة له، وإن كان يُلبجأ إليه في حالة الاضطراب. وفيه يقول صاحب الدر المختار علاء الدين الحصكفي: «وهو أن يظهر عقداً وهمياً لا يريدانه، يُلبجأ إليه لخوف عدو، وهو ليس ببيع في الحقيقة بل كالهزل^(٣)». والبيع «لا ينعقد بلفظ بعث هزلاً^(٤)».

والزيادة في ثمن المبيع زيادة صورية، لمع الشفيع، لا اعتبار له. بل الثمن الذي على الشفيع دفعه للمشتري إذا حُكم له بالشفعة هو الثمن الحقيقي المتفق عليه سرّاً، لا الصوري الذي عقد عليه العقد علانية، عند الأحاف وغيرهم من الحابطة والمالكية؛ إذ هذه الزيادة تدخل في باب الحيلة والهزل، ولا اعتبار للهزل في عقود المعاوضات المالية حسب أصولهم.

(١) يراجع ابن عابدين، ج ٢: ٣٧٩

(٢) فتح القدير، ج ٢: ٣٤٨

(٣) اطّرج ١: ٢٥٥ من ابن عابدين وكتاب الدر الذي بالهامش، وقارن ذلك بما ورد

في كتاب الفنى لابن قدامة الحنبلي التوفى عام ٦٢٠ هـ، ج ١: ٢١١

(٤) فتح القدير، ج ٥: ٧٦

ونحب أخيراً ، قبل أن تنتقل من الحالة الثالثة للرابعة التي بعدها ، أن نذكر أن هناك ضرباً من الخطأ أو الغلط يجب التنبه إليه ويان حكمه إذا وقع في العقد ، هذا الخطأ ليس هو ما سبق الحديث عنه من سبق اللسان إلى عبارة لم يردّها ، بل هو الخطأ في الحساب المترتب على العقد نفسه وإن كان كل من العاقدین يريد أصل العقد وإبرامه .

لقد جاء في كتاب « الفُنية » ما يأتي : « ساومه الحطة كل قفيز بشمن معين وحاسبوا مبلغ ستائة درهم ، فغلطوا وحاسبوا للشترى بخمسمائة وباعوها منه بالخمسمائة ، ثم ظهر أن فيها غلطاً لا يلزمه إلا خمسمائة . أفرز القصاب أربع شياء ، فقال بائعها هي بخمسة كل واحدة بدينار وربيع ، فجاء القصاب بأربعة دنائير فقال : هل بست بهذا القدر ؟ والبائع يعتقد أنها خمسة ، صح البيع . قال : وهذا إشارة إلى أنه لا يعتبر ما سبق ، أي أن كل واحدة بدينار وربيع » .

هذا ما جاء بهذا الكتاب من كتب الأحناف ، ومعناه أن الخطأ في الحساب لا يستدرك وإن كان العقد يقع صحيحاً . لكن القانون المدني الجديد يقول بغير هذا ؛ إذ نصت المادة ١٢٣ منه على أنه لا يؤثر في صحة العقد مجرد الغلط في الحساب ولا غلطات القلم ، ولكن يجب تصحيح العقد .

ونعتقد بحق أن هذا هو الرأي الصحيح الذي يجب العمل به ؛ فالعدل يقضى بوجوب استدراك ما يقع من خطأ غير مقصود ، والله يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » . وطبعاً ما يكون من خطأ حسابي لا يرضاء من لم يكن في مصلحته ، كما يجب ألا يرضاء أيضاً من هو في صالحه ؟

(للبحث بقية)

ومحقرات

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في الشام أبي عبيدة ، وبين أحد قواد الروم جاءه بطعام فاخر وقال له :

— هذا طعام الأمير .

قال أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟

قالوا : لم يتيسر .

فقال أبو عبيدة : فلا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وخذنا من ألوان الطعام . وليس المرء أبو عبيدة إن محب جندا من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه ، أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم شيء يصيبه ، لا والله لا نأكل إلا بما يأكلون .

مقترحات للدستور الإسلامي في الباكستان

للاستاذ أبي الأعلى المودودي

أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان

الفصل العاشر

السلطة التنفيذية

١ - الإمارة :

(المادة ٢٠)

تفوض مسئولية إدارة الدولة وتسيير شئونها إلى أمير منتخب يتمتع بجميع
صلاحيات الحكم .

(المادة ٢١)

للأمير السمع والطاعة ما دام مطيعاً لقانون الله ورسوله ، ومتبعاً له .

(المادة ٢٢)

الأمير لا يكون فوق مستوى الجمهور ووراء انتقاداتهم ، بل :
١ - لكل واحد أن يشق عليه لا أموره الاجتماعية فحسب ، بل أموره
الدانية أيضاً .

٢ - لا تكون منزلته في نظر القانون إلا كمنزلة عامة سكان الدولة ، ويجوز أن
ترفع عليه القضية إلى المحكمة في جميع شئونه - الشخصية منها والعامة - ولا يستحق
معاملة ممتازة في المحكمة .

(المادة ٢٣)

يظل الأمير أميراً ما دام حائزاً لثقة الجمهور . وأما إذا فقد الثقة فيمكن عزله .

(المادة ٢٤)

على الأمير أن يسير دفة شئون الدولة بالمشاورة .
بيانها : والمشاورة في أمر الحكومة مما يفرضه القرآن على المسلمين فرضاً ، وقد
نهى عن الاستبداد . فلا يكون للأمير حق في تعطيل مجلس شوره إلى مدة غير
معينة ؛ إلا أن له أن يحل مجلساً للشورى لأسباب خاصة ، ويأمر بانتخاب مجلس آخر .

٢ - مجلس الشورى :

(المادة ٢٥)

ويكون مجلس الشورى من الأعضاء للتعيين لمساعدة الأمير في إدارة شئون الدولة.

(المادة ٢٦)

للأمير حرية تامة في تقرير الأحكام والقياس والاجتهاد والاستحسان حسب القواعد الشرعية .

(المادة ٢٧)

لا يسمع بأى نوع من التحزب في مجلس الشورى ؛ وإنما يكون كل عضو منفرداً بشخصه ، ويبدى رأيه حسب ما يراه من الحق والصواب .

(المادة ٢٨)

وتكون لأعضاء مجلس الشورى الحرية التامة في الاستجواب والاستفاد والاقتراح ، وإبداء الرأي .

(المادة ٢٩)

لا يجوز للأمير ولا لرجال إدارته أن يكتموا شيئاً عن مجلس الشورى .

(المادة ٣٠)

حق التصويت لكل من بلغ سن الرشد ممن يؤمنون بعبادة الدولة في انتخاب الأمير وأعضاء مجلس الشورى .

(المادة ٣١)

لا يكون أهلاً للإمارة أو لعضوية مجلس الشورى رجل ترشح لها بنفسه أو سعى لها سعيًا .
بيانها : لا مجال في الإسلام للترشح أو الدعاية الانتخابية أصلاً ؛ فقد قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : « إنا والله لا نولى هذا الأمر أحداً سألناه أو حرص عليه » (١) .

(المادة ٣٢)

يكون انتخاب الأمير بمقتضى البدأ الخالد الذى يتضمنه قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢)

بيانها : ينتخب للإمارة رجل يكون حائزاً ثقة أكثرية أهل البلاد من حيث التقوى والعرفة بروح الإسلام والحزم .

(المادة ٣٣)

يطالب الجمهور عند كل انتخاب عام أن ينتخبوا لعضوية مجلس الشورى رجالاً يحوزون ثقتهم من حيث التقوى والعرفة بالدين ، والتبصر في أمور الدنيا .

(١) متفق عليه .

(٢) سورة المجرات : ٤٩

الله لا المجتمع...

كان ذلك في المركز العام للاخوان المسلمين ، وكما جلوساً في حفلة جملة دعت إليها إحدى كليات جامعة مؤاد ... ودعيت للتحدث فتحدثت ؛ وكان مما عرضت له رأى أعجبي لأستاذ من أساتذة الاقتصاد الحديث (١) ، ذهب فيه إلى أن علماء الاقتصاد افترضوا وجود إنسان تصوري أسموه « الإنسان الاقتصادي » لا عقل ولا يذل أى نشاط اقتصادي إلا يباعث الأثرة وحب الذات ودافع المنة ... ثم استبعدوا كل باعث آخر لا تحتله الصورة للمادية البحتة للإنسان كما تصوره .

أما علماء الإسلام فقد أدركوا إلى جانب هذه الدوافع المادية في الإنسان بواعث أخرى من حقيقته الروحية ، وقدروا الاتين معاً ، وأقاموا نشاط الإنسان كله على عقيدة ثابتة : وهي أنه في هذه الأرض ضيف على صاحبها سبحانه ؛ جاءها بأمره ، وسيرحل عنها بأمره ، ثم هو مفيض بعد ذلك إلى ما قدم ... إما إلى الجنة خالداً فيها ، وإما إلى النار خالداً فيها . والإسلام بهذه العقيدة يجعل نشاط الإنسان محكوماً أبداً بأخلاقه العالية ... ولذلك كان الغزالي في إحيائه يكتب عن الشوق والمعرفة ومراتب القلوب كما يكتب عن المال وآداب كسب المعيشة ...

قلت هذا ، ثم قام مدرس فاضل بكتابة التجارة فطلق على هذا الرأى برأى آخر ، وقال : إن ذلك كان طابع الاقتصاد القديم ، أما الاقتصاد الحديث فلم يعد مادياً حكماً ، وعلماء الاقتصاد الآن يهتمون اهتماماً كبيراً بفكرة التعاون على خير المجتمع العام ...

هذا الكلام الذى قاله المدرس الفاضل جميل ، ولكنه يحمل حقيقة كبيرة من حقائق الواقع المختلط الذى نعيش فيه . فأنت ترى أن فكرة « خير المجتمع العام » في هذا الكلام تساوى الحقيقة الروحية للإنسان ... وذلك خطأ ضخم ؛ فالحقيقة الروحية تأخذ الإنسان من أعماقه لتدفعه في طريق مشرق مرسوم إلى « الله » : الرحمة فيه إليه وحده ، وإشراقته من سره ، ورسمه من حدود تدل بها وحي وكتاب . أما خير المجتمع العام فهو هدف تصوغه إجابات المايين وأهواؤهم ، ولا نعتهم منه الأخلاق إلا بقدر ما تحقق استقرار المجتمع استقراراً يشبع هذه الحاجات والأهواء ... أليس ترى أن تعريف الآداب السامية في القوانين الحديثة هو « ما يشترف الناس عليه » لا ما يجب أن يكونوا عليه ؟

عما فارغان كبيران :

فارق في الأساس : أساس الإسلام « وما أمروا إلا ليعبدوا الله » ومهمة المسلم مرساة الله ، وإن أسخط ذلك الأساس ، ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم يقول : « من اتقى رضاء الله أسخط الناس كراء الله مؤونة الناس » .

وفارق في الطريق : طريق المسلم محدود بمحدود الله ، يلتزمها ويطلب بها ، ويؤثرها إذا خالفها الناس : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

« عند الله » .. لم يفته فضل خدمة المجتمع ، لأن أصل الخير في دينه فرائض وقربات ، أما « عند المجتمع » فقد فاتته رحمة الله .. « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » . يا حمد الله ... ذلك طريقكم !

من القديم

المرأة المسلمة

للمصمم الشهير الأستاذ حسين البنا

« هذا الباب » من القديم « يعبر فيه يادى الله من روائع ما كتب
في الماضي مما يدخل في رسالة الحق ، مستمد من ذلك لا محرم مرءا من الخير
الذى كنهه السابقون لمجرد أنه قدم « من حسن في صلاح » فبشر - مع مقدمة - دلائل
على أسالة الصحت ، ورعا ثمرة إعادة بشره لواحى الحق الى لا سبيل ولا نزول
ومن يدري كما يقولون -

وقال من الناس من يعلم أن الإمام السيد الأستاذ حسن البنا وأسر تحريره الناز
أمره بعد سماحة السيد رشيد رضا وصلى الله عليهما . وأبعد الذى بشره اليوم
كنهه صليته ودعا على سؤال من تعدد درء لا حياء في حريين الناس والعاسر
سنة ١٣٥٩ م . ع . م .
التحرير

كتب إلى كاتبه فاضل يطيب أن أكتب عن المرأة وموقعها من الرجل وموقف
الرجل منها ، ورأى الإسلام في ذلك ، وحث الناس على التمسك به والبرون على حكمه .
لست أجهل أهمية الكتابة في موضوع كهذا ، ولا أهمية انظم شأن المرأة في الأمة ،
فالمرأة نصف الشعب ، بل هي النصف الذى يؤثر في حياته أشع التأثير ؛ لأنه للدرسة الأولى
التي تسكن الأجيال وتصوغ الناشئة ، وعلى الصورة التي يتصورها الطفل من أمه
يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة ، وهى بعد ذلك لتؤثر الأول في حياة الشباب
والرجال على السواء .

لست أحمل كل هذا ، ولم يهمل الإسلام الخفيف وهو الذى جاء بوراً وهدى للناس
ينظم لهم شئون الحياء على أدق انظم وأفضل القواعد والنواميس . . أجهل لم يهمل
الإسلام كل هذا ، ولم يدع الناس يهيمون فيه في كل واد ، بل بين لهم الأمر بما
لا يدع ريادة لمتريد .

وليس المهم في الحقيقة أن يعرف رأى الإسلام في المرأة والرجل ، وعلاقتهما وواحد
كل منهما نحو الآخر ؛ فذلك أمر يكاد يكون معروفا لكل الناس . ولكن المهم أن
سأل أنفسنا هل نحن مستعدون للبرول على حكم الإسلام ؟

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تتمشاها موجة نائرة قاسية من حبة التقليد الأوربي والانتماس فيه إلى الأدقان .

ولا يكتفى بعض الناس أن يعمسوا هذه الانتماس في التقليد ، بل هم يحاولون أن يخذعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والظلم الأوربية ، ويستعملوا سماحة هذا الدين ومروية أحكامه استغلالاً سيئاً يخرجهما عن صورتهما الإسلامية إخراجاً كاملاً ، ويعملها نظراً أخرى لا تصل به بعد من الأخوان ، وسجلون كل الإهمال روح بتشريع الإسلامى ، وكثيراً من النصوص التي لا تتفق مع أهوائهم .

هذا حذر مصاعف في الحجة ، فهم لم يكفهم أن يحلفوا : حقاً ، ويلبسون الخارج القابولية لهذه المخافة ، ويصنعونها نصرة الليل والجوار حتى لا يتوبوا منها ولا يفتخروا بها يوماً من الأيام .

فالهم الآن أن نطرح إلى الأحكام الإسلامية نظراً حياً من الهوى ، وأن نعد أنفسنا ونهينا لقوله أودع الله تعالى ونواحه ، وعظمة في هذه الأمر الذي يعتبر أساسياً وحيوياً في ههنا الحاضرة .

وعن هذا الأساس لا نأس أن نذكر للناس بما عرفوا . وبما يجب أن يعرفوا من أحكام الإسلام في هذه الناحية .

أولاً . الإسلام رفع قصة امرأة وعملها شريكة الرجل في الحقوق والواجبات

وهذه قصة معروضة منها نفراً ، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع فيها وأعدها أحساً للرجل وشريكة له في حياته هي منه وهو منها « نصفكم من نصف » وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضاً ، وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب ، بشكر إذا أدى واجبه ويجب أن تصل إليه حقوقه والقرآن والأحاديث بيانه بالنصوص التي تؤكد هذا المعنى وتوضحه .

ثانياً . التفرق بين الرجل والمرأة في الحقوق إنما جاء تبعاً للفوارق الطبيعية التي لا أساس منها بين الرجل والمرأة ، وتبعاً لاختلاف المهنة التي يقوم بها كل منهما ، وحياته للحقوق المصوحة لكلهما :

وقد يقال إن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة في كثير من الظروف والأحوال

وم يورث بينها نسوة كاملة ، وذلك صحيح ، ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ أنه إن انتقص من حق المرأة شيئاً في ناحية فإنه قد عوضها خيراً منه في ناحية أخرى . أو يكون هذا الانتعاش إغاثتها وحيرتها قبل أن يكون لشيء آخر . وهن يستطيع أحد كائن من كان أن يدعى أن سكوت المرأة الخسار والروحى ككتكون الرجل سواء سواء . وهن يستطيع أحد كائناً من كان أن يدعى أن الدور الذى يجب أن تقوم به المرأة في الحياة هو الدور الذى يجب أن يقوم به الرجل مادام يؤمن بأن هناك أمومة وأبوة .

أعتمد أن السكوتين مختلفان وأن المعنيين مختلفان كذلك ، وأن هذا الاختلاف لابد أن يستتبع اختلافاً في نظم الحياة المتصلة بكل منهما ، وهذا هو سر ما جاء في الإسلام من فوارق بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات .

ثانياً . بين المرأة والرجل تحديد فطرى قوى هو الأساس لأول الاملاء بينهما ، وأن الاملاءة من قبل أن تكون انتعش وما إليها . هي الاملاء على حفظ النوع واحمال

متاع الحياة

وقد أشار الإسلام إلى هذا من لسان وركاء وصرفه عن المني الخواى تحمل الصرف إلى ممي روحى لعظم غايه وبومح بالاصود منه ويحموه عن صوره الاستماع لبحث إلى صوره لتعاون لتمام ، ولسمع قوداقة تشارك وتعالى ٥٠ ومن آياته أن حتى لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا بها وحمل بينكم مودة ورحمة ٥ .

هذه هي الأصول التى راعاها الإسلام وقررها في نظريته إلى المرأة ، وعلى أساسها جاء تشريع الحكم كالملاءمة والنم بين الجسدين بحيث يستفيد كل منهما من الآخر ويعيه على شئون الحياة .

وللكلام عن المرأة في المجتمع في نظر الإسلام يتلخص في هذه النقاط :

أولاً : يرى الإسلام وحوب تهذيب خلق المرأة وريبتها على الفصائل والكلمات العساية مد النساء ، وحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا ، ويصدمهم عليه الثواب الحريص من الله ويتوعددهم بالعقوبة إن قصروا . وفي الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها اساس والحجارة عبيها ملائكة علاظ شداد لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

وفي الحديث الصحيح « كلكم راع ومسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكل حكم راع ومسئول عن رعيته » أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر ، وعن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم له امتان يحسن إليهما ما يحسنه أو صحهما إلا أدخلناه الجنة » رواه ابن ماجة بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاث باب أو ثلاث أخوات أو ستان أو أحيان فحسن محسن وانقى الله فمن الله الجنة » رواه الترمذى والبيهقى وأبو داود إلا أنه قال (عأدهن وأحسن إليهن وزوجهن لله الجنة)

ومن حسن تأديب أن المسلمين مالا على من عنه من وارث مهتمين بالقراءة والكتابة والحساب والدين وما راعى لطلب العلم راجلا ونساء وتدير المنزل والشئون المنجية وسادى البرية وساسة الأعصاب وكل ما يحتاج إليه الأم في تنظيم بيتها ورعاية أطفالها ، وفي حديث البخارى رضى الله عنه ، « نعم النساء نساء الأنصار لم يمعهن الجاهل أن يعقبن في الدين » وكان كثير من نساء السلف على حسب عظيم من العلم والفصل والفقه في دين الله تبارك وتعالى .

أما المقالات في غير ذلك من العلوم التي لا حاجة للمرأة بها فمعت لا شأن لها ، فليست المرأة في حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها في النافع المفيد . ليست المرأة في حاجة إلى التبحر في اللغات المختلفة .

وليست في حاجة إلى الدراسات لفئة الخاصة ، فتعلم عن قريب أن المرأة للعزل أولا وأخيرا .

وليست المرأة في حاجة إلى لتبحر في دراسة الحقوق والقوانين ، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس .

كان أبو العلاء المعرى يوصى بالنساء فيقول :

علموهن المنزل والسج والرد (١) وخبروا كتابه وقراءة
فصلاة الفتاة بالحد والإحلا من تحرى عن يونس وبراة

وعن لا يريد أن ينفذ عند هذا الحد ، ولا يريد ما يريد أولئك المالون المعرضون
في تحميل المرأة مالا حاجة لها به من أنواع الدراسات ، ولكنا نقول : «عدوا المرأة
ماهي في حاجة إليه بحكم مهنتها ووظيفتها التي خلقها الله لها بدير المنزل ورعاية الطفل
تماماً : التفريق بين المرأة وبين الرجل :

رى الإسلام في الاحتياط من المرأة والرجل خطراً محققاً ، فهو يساعد بينهما
إلا بالزوج ، ولهذا فإن المجتمع الإسلامي مجتمع انفرادي لا مجتمع مشترك
سقول دعاه الاحتياط إن في ذلك حرماناً للجنسين من هذه الاجتماع وحلاوة
الأمس إلى يحدها كل منهما في سكونه للأخر ، وإلى وحد شعوراً يسع كثيراً من
الآداب الاجتماعية من رقة وحسن المعاشرة ونظم الحديث ودمانة لطاع الخ
وسيقولون إن هذه المساعدة بين الجنسين مستحيلة كلاهما مشغولاً آنفاً إلى الآخر ،
ولكن الاتصال «بما يمل من التفكير في هذا الشأن ومخاطبة امرأة عادية في العوس
(وأحب شيء إلى الإنسان ما سدا) ، وما يمكنه اليد ردهه النفس .

كذا يقولون ويصنعون «ولهم كثر من النساء ، ولا سيما وهي فكر نوافق
أهواء العوس ، وتساير شهواتها ، وعن يقول هؤلاء . مع أنها لا سلم على ذكرهم في
الأمر الأول ، فهو لكم إن ما يجب لذة الاجتماع وحلاوة الأس من صانع الأعراض ،
وحت لطوانا وفساد العوس ، وهدم البيوت ، وشقاء الأسر ، وبلاء الخربة ،
وما يستلزمه هذا الاحتياط من طراوة في الأخلاق ولين في الرحولة لا تنف عند حد
الرقة ، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخسونة والرخاوة ، وكل ذلك ملوس لا يدرى
فيه إلا مكابر .

كل هذه الآمار السيئة التي تترتب على الاحتياط تبدو أهم مره على ما سطر منه
من فوائد ، وإذا تعارضت المصلحة والمصلحة فدره القصد أولى ، ولا سيما إذا كانت
للمصلحة لا تمتد شيئاً بجانب هذا القصد

أما الأمر الثاني فهو صحيح ، وإنما يزيد الاحتياط قوة الميل ، وقد عاين إن لطعام
يقوى شهوة اللحم ، والرجل يعيش مع امرأته دهرًا ، ويحد الميل إليها يحدد في نفسه ،
فما له لا تكون صلتها مدهة بيله إليها ، والمرأة التي تحافظ أرحام تمنع في إبداء
صروب رعبها ، ولا رعبها إلا أن تثير في نفوسهم الإعجاب بها ، وهذا أيضاً أثره الذي

من أسوأ الآثار التي يعقبها الاختلاط ، وهو الإسراف في الريسة والتبرج للؤدى إلى الإبلاس والخراب والفقر .

لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الإسلامى مجتمع فردى لا روحى ، وأن للرجال عتصامهم وللمساء عتصامتهن ، ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ، ولكنه وقف عند هذا الحد ، واشترط له شروطاً شديدة : من البعد عن كل مظهر الزينة ، ومن سترة الجسم ، ومن إحاطة الثياب به ، فلا تصف ولا تشف ، ومن عدم الخلوة بأحى منها تكن الظروف وهكذا .
إن من أكبر الكبائر فى الإسلام أن يحل الرجل بامرأة ليست بدات محرم له ، ولقد أهد الإسلام السبل على الجسبين فى هذا الاختلاط أهدأ قوياً محكماً .

فالتر فى اللباس أدب من آدابه .

وتحريم الخلوة بالأجنبي حكم من أحكامه .

وعص الطرف واجب من واجباته

والعكوف فى المارن للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره .

والبعد عن الإعراء بالقول والإشارة وكل مظهر ربه ، وبخاصة عند الخروج

حد من حدوده .

كل ذلك إنما يراد به أن يسل الرجل من فقة المرأة وهى أحب القتن إلى نفسه ، وأن تسم المرأة من فقة الرجل وهى أقرب العنن إلى قلبها ، والآيات السكرعة والأحاديث للعلهرة تنطق بذلك .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النور : « قل للمؤمنين يصصوا من ألباصهم ويحفظوا عروجههم ذلك أرى لهم ، إن الله خير بما يصصون ، وقل للمؤمنات يصصن من ألباصهن ويحفظن عروجهن ولا يبدن ريشهن إلا ما ظهر منها ، وليصرن خمرهن على جيوبهن ، ولا يبدن ريشهن ، إلا لعلولهن أو آبائهن أو آباء عولهن أو أسائهن أو أخوانهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو الناسى غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذى لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يصرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من ريشهن ، ويوبوا إلى الله حمية أنها المؤمنون لعلكم تفتحون »

وفي سورة الأحراب « يا أيها النبي من لأرواحك وماتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلائيلهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » . . إلى آيات أخر كثيرة

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن ربه عز وجل « البقرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها عفاي أدله إيماناً يحد حلالته في قلبه » رواه الطبراني وادخله في حديث حديفة

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لتعض أبقاركم ولتعض فروعكم ، أو لكس الله وحوهم » رواه الطبراني .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من صابح إلا وملئكم بدماء . ويل للرجال من نساء ، وويل للنساء من رجال » رواه ابن ماجه والحاكم .

وعن عتبة بن عاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار أفرأيت اللحم ؟ قال اللحم الموت » رواه البخاري ومسلم والترمذي ، والمراد بدخول الأحرار على المرأة الخلو بها . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل رجل امرأة إلا كان ثلثها الشيطان » .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل رجل أحدكم بأمرأة إلا مع ذي محرم » . رواه البخاري ومسلم .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يعض في رأس أحدكم يحط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » . رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني تفاء من رجال الصحيح ، كذا قال الحافظ المذري وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « إياك والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل امرأة إلا دخل الشيطان بينهما ، ولأن يرحم رجل حبراً متلطفاً نضيباً أو حماء خير له من أن يرحم مسكبة مسكبة امرأة لا تحل له » . رواه الطبراني .

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال . « كل عين راية والمرأة إذا استعطرت لم تزل بالجلس هي كذا » وكذا يعني . راية . رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، ورواه اسناني وابن حزيمة وابن حبان في صحيحهما ،

ولقبهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي رابة وكل عين راسه » أي كل عين نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان .
وعن أبي عباس رضي الله عنه قال : « لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والتشبهت من النساء بالرجال » رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني وعنه : أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدة قوساً ، فقال : « لمن الله التشبهت من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ، والرأء لبسة الرجل » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقطب صحيح على شرط مسلم

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « لمن الله بو شيبان واستوشيبان ولبت مصاب (١) والتصباح (٢) للمحسن انحراب خلق الله فعاب له امرأة في ذلك ، فقال : وما لي لا ألعن من لعمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في كتاب الله ، قال : فله تعالى » وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي

وعن عائشة رضي الله عنها أن حارثه من الأنصار روجت ، وأنها مرضت فتمشط (٣) شعرها ، فأرادوا أن يصووها فسألو النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « لعن الله الواصلة والمنوصلة » وفي رواية : « أن امرأة من الأنصار روجت استبها فتمشط شعر رأسها ، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له وقال : إن روحها أمرني أن أصل شعرها ، فقال لا ، إنه قد لعن الموصولات » رواه البخاري ومسلم

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم والآخر أن تسافر سحراً تكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو أبها أو ذو محرم منها » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وفي رواية البخاري ومسلم « لا تسافر المرأة يومين من الشهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها » .

(١) المتصبات : النائمات معورهن لازمة .

(٢) التصبغات : الباردات أسنانهن للتغيب

(٣) مسط شعرها ، سقط

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صنفان من أهل النار لم أرهما . قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات ممائلات ، رؤوسهن كأسنمة الخنزير ، لا يدرين أين رجعهن » رواه مسلم وغيره .

وعن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا » وأشار إلى وجهه وكفيه « رواه أبو داود وقال هذا مرسل ، وخالد بن دبرك لم يدرك عائشة .

وعن أم حبيد امرأة أبي حبيد السعدي رضي الله عنها أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله « إني أحب الصلاة معك » قال « قد علمت أنك تحب الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدك » فأمرت في لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأطلقه ، وكانت تسمى فيه حتى لقبت الله عز وجل . رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهم .

وليس بعد هذا البيان بيان ، وما علم أن ما نحن عليه ناس من الإسلام في شيء ، وهذا الاحتياط العائني يبين في المدارس والمعاهد والجامع والمحافل العامة ، وهذا الخروج إلى الملاهي والطعام والحدائق ، وهذا التسلل والتترج الذي وصل إلى حد التهلكة والخلاعة ، كل هذه نعمة أحسنه لا تمت إلى الإسلام بأذى صلة ، ولقد كان لها في حياتنا الاحتوائية أسوأ الآثار

يقول كثير من الناس . إن الإسلام لم يحرم على المرأة مراوطة الأعمال العامة ، وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا ، فأبوني نحن يحرم ذلك ، ومثل هؤلاء مثل من يقول إن ضرب الوالدتين حار ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية أن يقال لها : وأب . ولا يصح على الضرب .

إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنيتها وأن تخلو سريها وأن تتحلف سواها ، ويجب عليها الصلاة في بيتها ، وتستر النظرة سهمها من سهام إبليس ، ويكره

عنها أن يحمل فوسا مة فيه في ذلك بالرجل ؟ أيقال بعد هذا إن الإسلام لا يرضى على حرمة مراوطة المرأة للأشغال العامة ؟

إن الإسلام يرى المرأة مهمة طبيعة أناسية هي ادمى والطفل ، فهي كفتاة يحب أن يها ، يخلصها لأسرى ، وهي كروحته يحب أن يخلص لينتها وروحها ، وهي كأم يحب أن يكون هذا الزوج ولهاؤلاء الأبناء ، وأن تتفرغ هذا البيت ، فهي ربة ومدرسه وملاكمه . ومضى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواها ؟

فإذا كان من ضروريات الاجتماع ما يلقى المرأة إلى مراوطة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها ؟ فإن من واجبها حينئذ أن تراعى هذه الشرط لظاها وصحتها . الإسلام لإبعاد هذه المرأة عن الرجل ودية الرجل عن المرأة ، ومن واجبها أن يكون عناية هذا قدر ضرورها ، لا أن يكون هذا اجتماعا ، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه . والكلام في هذه المسألة أكثر من أن يحاط به ، ولا سيما في هذا العصر «الكابيكى» الذى أصبح فيه مشكلة البطالة وبطلان الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات المتسوية في كل شعب وفي كل دولة .

والإسلام بعد ذلك آداب كريمة في حق الزوج على روجه ، و روجه على روجه ، والوالدين على «أبائهما» والأبناء على «والديهم» وما يحب أن يسود الأسرة من حب وودعة على الخير ، وما يحب أن تقدمه للأمة من خدمات حتى يك لو أخذ الناس بها بسعدوا في الجنات ، ولقاروا بالصادقين .

مباور

روى الإمام حسن الدين بن القيم في إعلام اللووقص (١٦٠) أن مالك بن يحمدر أحد تلاميذ الضحائى الجليل معاد بن حل فانه :
ما حضرت معاد الوفاة فكيت ، فقال لى :

— ما يبكيتك ؟

قلت : واقف ما أسكى على ديا كنت أصيبها بك ، ولكن أسكى على العلم والإيمان .
فقلت : كنت أصيبها بك .
فقال معاد :

« أن العلم والإيمان مكانهما ، من أبعدهما وحدهما » .

كلمة لغير المسلمين وكلمة للمسلمين

لدولة السيد محمد ناصر

رئيس وزراء أندونيسا السابق

كتبها مادمي حكومة إسلامية في أي مكان من العالم الإسلامي اشترع ذلك غير المسلمين ، وهموا أن يردوا حكمًا عامًا رهبانيًا ، كالحكم الإلهي theocracy الذي عرّفته القرون الوسطى . إن ذلك فهم خاطئ للإسلام وأمر الحكومة الإسلامية كما يفهمه العاملون لها . ليس في الإسلام قديسون ، ولكن هناك علماء وفقهاء في مختلف شئون الدين ، وهم يسيرون قديسين يؤدّون استعائر باسم الكهنة ، إنعام أئمة بين يدي شريعة واضحة ، يستطيع كل مسلم إذا نعم واحدا أن يعرف أحكامها . ثم إن الأئمة الرسميين ليست إمامهم حرصاً في هذا الدين ، ولكنها تنظيم إداري . انقصته الحاجة العملية للمسلمين

ليس هناك في هذا الإسلام الذي يؤمن به قديس باسم السلطة الكهنوتية ، ولا سلطة قديسية لها دور خاص في الحكم أو التشريع أو الإدارة أو القضاء . وأوضح من ذلك أنه لا يوجد في الإسلام كمية ذات مكان مستقل داخل الدولة ، بل يجب أن يقوم الإسلام كعقيدة في كل ناحية من نواحي حياة المسلمين الفردية والجماعية ، الشخصية والرسمية ، وهكذا تختص الإسلام حياة الأمة كلها ، ولا يتركز الفصل بين الدين والمجتمع والدولة ، ويظهر مع ذلك بعيداً كل البعد عن الحكم للقدس البعض . لسبب ذلك أعيد عن الإسلام ، فالإسلام أعز من ذلك ، وهو لا يحتاج إلى من يعتز به ، وإنما أردت فقط أن أؤكد شدة عميقه الجذور في أذهان الغربيين ومن ذهب معهم .

أما إذا كان القصد هو أنهم يسيرون علنياً بديناً ، فليسمحوا لي أن أذكر صراحة . إن أكثر الأمريكيين يسكرون في اللادهم وأنفسهم كسيحيين ، ورئيسهم الراحل روزفلت كان مسيحياً صافراً . وكان لا يعمل المسيحية في أي خطاب وجهه إلى العام أثناء الحرب العالمية الأخيرة . والإنجليز كذلك مسيحيون : دولتهم مسيحية ، ومذاهبهم

هي رأس الكنيسة وحامية الإيمان المسيحي ، ولذلك فإن طقوس الكنيسة الدينية
تحتل مكاناً كبيراً من اهتمام المؤمنين ، والمؤمنون مسيحيون ، بشرط ، في دستورهم
أن يكونوا ملتزمين بتعاليمهم ، من إن هولندا حكمت حكماً كسبياً من سنة ١٩٠٣
إلى سنة ١٩٤٠ كل هذه الدول ومعها غيرها من دول أوروبا المسيحية ، حتى فرنسا ،
بعدد من الناس في جوارها المسيحي ، وقد ظهرت السلطة لتعزى للمسيحي خارج
أوروبا في آسيا وأفريقيا وإستراليا ، وخاصة في بلاد مستعمرة وشبه المستعمرة ، حتى
إنه ظاهراً يقال إن القرن التاسع عشر إن وسائل أوروبا في حكمها الاستعماري ثلاث
أسلحة ، والتعشير والحرب

وإذا كنت قد عرفت هذه السمات عن بعض وجوههم من حكم الإسلام ،
فليس يحسن أن أقول ببعضهم وهم يطالبون بهذا الحكم إن وضع الدستور والقوانين
لا يمنع إلا حاد واحداً من سماتهم ، لا يعبر الرجال ، والأمة
هي التي يقع عليها عبء ص ٩٤ الدستور في سبيلها الفاسد ، لتسلك التي يحويها ، وفي
الكيفية حياة أمتهم ، وروحهم في أفعالهم وأعمالهم ، وفي حياتهم اليومية ،
أفراداً وجماعات

من الإيمان لا أنهم كانوا الحب لا نفس والإيمان بحب جيلهم الحب
والؤمن يؤمن بحب لنفهم الإيمان منهم بإخلاص وصفاء عقيدته ، وبالجمال التعبد
الذي يمشق دواماً في نفس المؤمن الصادق

حب أن نشع في الأمة الإيمان العربي لا نظري ؟ فإن الرجل يقاس بتصرفاته
وسلوكة وأعماله ، إذا ادعى أنه عبي ، وعمره ما للعلم ، وإذا ادعى أنه عبي ، وأمه
في الزنا ، وإذا ادعى أنه على الصراط المستقيم ، هو يعرض في إحدى حفر الطريق ،
إذا ادعى ذلك فإنه لا يستحق العطف لأنه كذاب .

حب أن يسم شمس ، خاتمة الإسلام غير ما براه من أحوال المسلمين ، ويجب
علماً أن ردة إلى كفة الإسلام مدبوها القرآن في النبوي القديم ،

إن — وكثير من أمثال — بعدد أننا مقبلون على نهضة جديدة .

وذلك من من يورخ ولا بالكلام ، وليس تقوم لنا كيون مجرد دعوى
الإيمان ، ولكن بالعمل والاستقامة والصدق .

ليس الإسلام أن نمر حديث في الصلاة ثم تركه عمداً كي يراه الناس .

وليس الإسلام أن تكون — وأنت فارغ القلب — آتات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

« إنما الإسلام هو أسر أمكنون . هو العهد وليثاق بين الله وبين عباده القانتين العاطلين . الإسلام هو العمل الصالح الذي يقصده به وجه الله ، وتقرصه أحواله بالإسلام .

« ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين . فاقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون »

في الأرض قد عمها فساد كبير ، وقد أسلفت الخوارج الشريرة في الشرق والغرب أنفسها للدمار ، وهما عن المسلمين في مطلع هذا الطريق الخفيف نجد أنفسنا وأرواحنا وقد أصبح بصبي عليا توب حديد من الكرامة ؟ هي أيدينا المواقف الأسرار السجدة ، وعمدنا المحلات الحيوية ، وأرضنا أصبح عبرنا يسمى «الفتح» ، ولكن معالج مداد «أفتاح» طريقنا إلى إبرة أم إلى الجحيم ؟ إن نرحل ذلك إلينا وحدها ، وليس علينا إلا أن نرجع إلى القرآن ، وإلا أن نذكر سبل الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن سأل الله أن غير لنا الخبيث من الطيب ، والخطأ من الصواب .

إن الله قد أتم علينا إذ أمهلنا أنفسنا ، ليس لنا بعدها إلا أن نهين أنفسنا بحكم عليا بالفناء ، وإدالم تعلم كيف نصر في النور بعد هذا الظلام لطويل ، فقد حق عليا قول ربنا : « وَإِنْ تَسْتَوِلُوا يُسْتَدْلِقْ قَوْمٌ غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لْيَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ » .

أقد سُهر العالم على عهد الرسول ، وأرحو أن سهر مرة أخرى بإذن الله « بدأ الإسلام عربيا ، وسعود غربيا كما بدأ ، فطوى للعرباء » .

وليس في حاجة بعد ذلك إلى كثير كلام ، فكل ذلك معروف ، وهو من صميم الإسلام ، وعليها أن عمل إلى العالم رسالته في ثقافتها وساطتها الأدي ، وفي موارثها الخالدة التي تعلم بثقافة الحياة الإنسانية أفضل تنظيم ، وتأخذ بأيدي الناس إلى الله « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

وعليها بعد الآن أن يصحح سائر الخلافات والمناقشات ، فهذا وقت الفصل لا وقت الردود . ولقد أكثرنا من التشديد بأسمالية والشيوعية ، ولا يصح أن نطلي

هكذا سيبين ، من يحب أن يظهر للعامة ، أن عليك الحق الإيماني ، لك كل اعاء لهكره
والاقتصادية والاجتماعية .

لسا في حاجة إلى أن تختار لأفعل ، هذه احبار الله لك الطريق يوم أن أنزل
هذا الدين ، وقد حدد لنا امصير حتى أكرم أن يكون مسلمين .

دعوا انما الله . وامشوا إلى حيث تريد وحظموا « سمع كل شيء يعرف في
طريق دعوتك »

وإذا قدر هذه الأرض أن تشهد حراً عليه أخرى فمن لا عليك إلا أن تستعين
الله ، وسلك أنفسا في سبيله « وحده » ذلك السبيل الذي سلكه أسلافنا من
قبل ؟ فأشرق على الدنيا لمطاعة نور الإسلام .

الوحي النبوي

أخرج ابن أبي الدنيا عن عطاء بن أبي رباح أنه مثل عن النوبة من القرية ،
فقال : انتهى إلى صاحبه فتقول « كدست ما كنت ، وظلمت وأساءت ، فإن شئت
أحدث عفتك وإن شئت عموت »

الإمام ولي الله الدهلوي

(١١١٤ م - ١١٦٧ هـ)

لساحة السيد مسعود الندوي

... إلى رئيس تحرير « المبعوث » ...
هذا أصل من بحث طويل في تاريخ الدعوة الإسلامية بالهند ، أعزم
يؤدق الله بشره في كتاب ، وقد آثرت به أسرة « المبعوث » قبل
بشره بأشبه من مع وعده . . . مسعود الندوي

دخل الإسلام الهند من طريق الهند الشمالية الغربية ، في أواخر القرن الرابع
للهجرة . وقد عرفت مما أسلفنا (١) من تاريخ الإسلام وعمره في هذه البلاد ، ما حاوروا
الحدوي من الجهل بالدين في ستة اقرون التي ملئت (٢) بمحمود القروي (٣٨٨ - ٤٣٢١)
وما نشر بعض ملوكهم فيها من الفساد والفساد

وكذلك مرة بك في تقدم أنه ما سمع منهم طوله تلك القرون من يحدد لهم الدين ،
ويصنح بالأمم ويحيي ما أثر الإسلام في هذه البلاد ، ويعيد لها نصرتها وشانها ، إلا رخص
صالحين : أحدهما وهو الشيخ أحمد السرهندي التوفي سنة ١٠٣٤ هـ . كان قسماً
ملك على الناس متاعهم وفلوسهم ، فأرشدهم إلى الحق ، وسمى سعيه في إخراجهم من
ظلمات الجهل والشرك والبدع . والثاني - وهو الملك العادل أورغز ، المتوفى
سنة ١١٨٤ هـ - كان ملكاً ، عاش عيشة الزهد والفقراء ، واختار لكل ما أوتي
من عريضة وقوة أن يكبح جماح الفتن ويقمع شرها

وبما سردنا من عظم أنعمائها في الأصول لتقدمة من هذا الكتاب كما به للقاريء
المتصفح . ولكن قل لي بالله ، ماذا يفعل دامت الرحلان ، وقد تأصلت حدود الفتنة ،
واسست عروقها دماً ، للسمين الشدح ستة قرون أو أكثر منها ، وأعياء الحدائق
والنطاسيين من الأطباء دواؤها ، فنعاقم شرها ؟

(١) الكتاب يدول تاريخ الإسلام في الهند - لا الخمين - وسميته وقد طرأ عليه بها
من سحر ومدى في مختلف الأحوال والأزمنة ، من مصبح القرن الأول للهجرة إلى عصرنا الحاضر .
(٢) أو الملوك السنيين الذين فتحوا الهند بطريق الهند الشمالية الغربية .

عصر الإمام ولي الله

ولو حلف الملك "أور هرب" حلفاً ، لم رأى صلاح وإقدام وعزيمة ، فكان
 رضى أن تتمر جهود ذلك المجاهد الصالح وتؤتى أكلها ، لكنه بما يؤسف له
 أنه حلف من بعده حلف ، كل نال منهم أصعب قوة وأدنى بأساً من سابقه ، حتى
 أصبحت الدولة الموقية على وشك الانهيار ، فحمت قرون الف من جديد ، ونفت
 سوق البدع والخرافات في المدين حسب ما حرت به عادتهم من قرون ، وعادت الثقافة
 الهندكية الوثنية — إلى كان قد تخلص ظلها جهود الشيخ أحمد السرهدي اللقب
 محمد الألف الثاني من المحمرة ، والملك العادل أور هرب — تترد سابق عهده
 وغارشاتها

وكذلك تطاولت التبعية وأعاقها ، مستظلة ربات أمراء الولايات ، مبرحة في
 أعطائهم وأكافهم . هذا ما آلت إليه حال الحكومة ورعاها أما العلماء وشيوخ ،
 فلا نل عما صاروا إليه من الوهن في عهدهم ، والآنحط في أخلاقهم ، والهاون
 في سائر أعمالهم . هؤلاء المنعمون بالبرويش ومذبة الصوفة ، قد بسطوا ررانيهم
 في روايتهم ، وانزلوا عن الناس ، كيدون الإسلام ، ومجربون بيوت الله بأيديهم وأيدي
 أناسهم من الجاهلين

أما المدارس^(١) فما راب رج ناصوات أنباع أرسطو ودياسفة اليونان ، وإن
 نحب ، فعجب عكوفهم على أعظم اليونان . أريد بها علومهم العالية ودراساتهم
 أنكهم ومؤلفاتهم في القرن الثاني عشر للمجرة ، وقد عثرت ولبت ، ولم يبق في بلاد
 اليونان ، بها من ينعت إليها ، ويسدل جهوده في تحصيلها ، لكن علماء ما صاروا
 معجيين بها ، وأصلين يلهم بهارهم للتبرير فيها ، غافلين عن حاجات العصر ومقتضاياته
 فحيت تلك المدارس الهامة « بالإسلامة » متسككة ظلمات اليونان ، صارفة بوجهها عن

(١) دعت العلوم « الحديثة » في الهند أولاً في القرن السابع ، وظن ثم المذاهب معصراً في الفقه
 ولأول في القرن التاسع ثم حامت كتب التعداد (سنة ١٢٩٣ هـ) فتألف رواجاً عظيماً
 وتأنى الناس بالقبول ، وأقبلوا على دراستها إذ لا . ثم جاءت كتب وشروح جديدة مكنت المتأخرين
 من المناظرة ، حتى جرى هذا النهج القديم — المعروف بالدرس النظامي ، به إلى ملا نظام الدين
 السالوي (سنة ١١٦١ هـ) الذي لا يزال العمل به حالياً في مدارس « الإسلامية »
 والنصيب الأول به في شروح واعوانى التي عدتها المتأخرون على كتب التعليم والمناظرة
 ، أمدهوا إلى الدرس النظامي كثيراً من شروح واعوانى مكنت على ، فأصبح معشاً على إداة -

سوع القدس ، فلا تكاد تسمع فيها للكتاب وانه ذكر آثومها ومن كثر
الكتاب في البيوت أهمية الكبري ومطاحن عذاتها أيضاً كانوا يكتبون من كتب
الحديث بدراسة مشكوة المصاح^(١) ومشارق الأنوار ، وهم هم الذين كانوا يصرفون
سبل طويلاً في العكوف على كتب أرسطو وعلامة اليونان ، سجنوها محلاً واهلها
عزاً ، فأتى بحب إذا بلغ بهم الاضطهاد هذا الملح ، وهن رحي اعلم شهادة من أدو .
الجهن والدمع ، ذا مسكك عن عيون الكتاب العرر وانه السبوة ، وكأى هم
ما استمدوا من عذاب السيد محمد^(٢) ، ولشجع عبد الحق^(٣) ، لا عجلة للقسم ، وكأى
بالشيخين م يصب في زعم العلماء في القرآن والسنة إلا قليلاً ، والذي أراه أنه ما حرم
طبعة من المسلمين دعوة السيد محمد والشيخ عبد الحق وصالحتهما العاية مثل ما حرمت
عفاؤنا إياها

أما أهل القوى ، فجمعوا مدرسون كتب اللغة والعقوى واخذوها فرائهم و .
ها كما يؤمن بالغيب ، وأصبح انشك في مسألة من مسائلها عبارة عن كبر مائة ورسوله
ومن ذا الذي يحترق أن يكر عليهم شيئاً من مسائلهم التي يُعتنون بها أو أفى بها
بعض من يهدمهم من عائلاتهم وقهقهتهم^(٤) كان نعم المصري (نوف سنة ١٢٩٧هـ) أو ملا
على القاري الحلي (نوف سنة ١٠١٤ هـ) وإن يحسر أحد على ذلك ، سيقوه ، السنة
حداد وبروه بألقاب شعبة

بعل القاري ، ياتلي وقد أسهمت الكلام على عصر الإدم وإلى الله كيف
كانت معاملتهم للكتاب العرر في مدارسهم وحلقات دروسهم " - فالحق "حق أن
يقان ، سام ، سمع ما لكتاب العرر يدرس في مدارسهم ويصرف شئ . من الأوقات
في الكشف عن وجود معاصره ، والتعجب عن مُخَنَّكَات أسرار . وكيف أتى
لهم ذلك " وقد هـ صوا على عظم اليونان سيات ، وراحوا علمهم بالمناكب ، ولم يكن
لأهل العلم منهم أدنى إلمام بمعارف الكتاب العرر ، دع عنك ذكر اعامة والأوساط

- (١) ومن علمائنا المعاصرين من علمت به المصيدة للأسلاف والأحدا ، أن بالغ في الدفاع عن
قلة اهتمام بدراسة كتب الحديث وسهاتهم على حركات اليونان وترهات
- (٢) هو الشيخ أحمد السرحدي المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ .
- (٣) الشيخ عبد الحق هو أول من نشر علم الحديث واجتهد في فهم معارف الله السو .
في شمال الهند . وله شرحان لشكوة المصاح ، أحدهما بالعربية والآخر بالعربية . وفي سنة ١٠٣٠ هـ .
قاهرة ، رحمه الله وأسكنه فراش جناحه .
- (٤) ذكرنا حديث المالك الطهري حرياً للقتل ، ولست ألتزم على هؤلاء الأعلام ،
إعانة الله على الذين يؤمنون بأقوالهم ، اعانهم بالكتاب والسنة

العالم الإسلامى فى القرن الثانى عشر للهجرة

لما كانت دائرة كلامنا فى هذا الكتاب - بحصره - فى تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ، ما تعرضنا للآن ما كانت عليه الحال فى سائر بلاد الإسلام فى تلك القرون ، إلا أنه يحسن ما الآن أن نطرح فى أحوال العالم الإسلامى ونأمل أفكار أهله وعمالمهم فى القرن الثانى عشر للهجرة ، لأننا نحن الآن نصد ترجمة رجل عبق أريج فضله فى العرب والعجم ، واحترفت معارفه حدود بلاد الهند ، ولا عنى على من له إلمام بحريات التاريخ الإسلامى ، الاعطاط العلى والعكرى الذى أحاط بالعالم الإسلامى سرادقه ، وأننا نحن نكلمه منذ القرن الثامن للهجرة ، فقد أعاق الفقهاء بآية الاحتياط ، وتلقوا متون مؤلفات المتأخرين وحواشها الفصول فى حلقات دروسهم وكذلك نسرت إلى المجتمع الإسلامى وهن فى حلق أهله وشملتهم لاسيلا الأمرء الخلة على أمورهم ، واستندادهم بالأمر دون غيرهم ، قد بهم ديب الاضطراب ، ديب البديان فى انحد ، إلى أن استعجل الأمر واشتد الخطب وبلغ الأمر مبلغاً فى بدء القرن الثانى عشر للهجرة ، نكى عنه لصديق ورنى له العدو الشام

وهذا ستودارد (Lothrop Stoddard) الأمريكى أحد علماء الاجتماع المعاصرين ، قد وصف تلك الحال الموحدة المؤلة وصفاً دقيقاً ، وصورها بصورة « حتى لو أن فيلسوفاً غريباً من فلاسفة الإسلام أو مؤرخاً عبقرياً بصيراً جمع أمراض الاجتماعيه ، أراد تشخيص حالته فى هذه القرون الأخيرة ما أمكن أن يصيب المجر ، وأن يطلق تطبيق هذا الكاتب الأمريكى ستودارد ، كما دله أعظم كتب التفرق فى هذا العصر وإمامهم الأمير شريك أرسلان رحمه الله وأسكنه فراديس جاته - وهالك ما وشته ساء ، لتعرف كيف يشخص كاتب نصرانى أمراض الاجتماعيه

قال ستودارد^(١) وهو وصف حال المسلمين والإسلام فى القرن الثامن عشر لميلاد :

(القرن الثانى عشر للهجرة) .

فى القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامى قد بلغ من التضعع أعظم مبلغ ، ومن التحدى والاضطراب أعظم درك ، فارتدت حوده وطغمت الظلمة على كل صقع من أصقاعه

(١) The New word of Islam (٣٠ - ٣٧) والتعريب للاستاد محاج ويحيى

(حاضر العالم الإسلامى : ١ - ٣٧ - ٢٥٩) ، إلا أننا - نقيدنا بترجيده .

و ينشر فيه مسائل الأخلاق والآداب ، ويلاشى ما كان مأوفاً من آثار أسلاف العرب ، واستقرت الأمم الإسلامية في أمان الأمان ، والشهوات ، لا فرق بين الخاصة والعامة في ذلك ، وساد الجهل ، وانطاعت فست العلم الصنعة ، لا صدم من تعهد به درس المدرسة ، والإيمان فيها ، واتهم اشتم ، وانطاعت الحكومات الإسلامية إلى مطاعنا السعد ، وموصى واعمال ، وليس يرى في العلم ذلك العهد ، . . . سوى استندس العاسمين ، كسلطان « ركة » وثوار حركت المعول في العهد (أي الناس ما كانوا الأمر بعد وفاة أو بحريه) يحكمون حكماً واحداً ، غابى القوم وقام أكثر من الولاء والأمراء يخرجون على الدولة ، ويبدلون حكومات مستعلة ، وسكن مستعد ، كالى خرجوا عنها ، وكان هؤلاء الولاء لعماد لا يستطيعون حصاص من في حكمهم من أرغما وأسراء الأقاليم ها ، هناك ، وكثير ليلك والهب ، وفقد الأمن ، وصارت السماء عطر طفاً وحوراً ، وحاء فوق جميع ذلك رجال الذين يستبدون ، ردى الزعانير هاء فوق إرهوى ، فمئلت الأيدي ، وفقد الناس عن طلب الرزق ، وكاد العلم يعدم في عوس الأهالي ، وبارت التجارة بوراً بخير ، وأهملت الزراعة آيساً إهمال

وأما الناس فقد عشته غداة سوداء ، فالتس التوحيد الله السادس (austere) الذى عده صاحب الرسالة سجفاً من الحرافات وفتور الصوفية حلت مساجد من من المصالحين وقرب ، وكثر عديد الأديان جهلاء ، وطوائف افقر ، وفلذرا وئيش المشركون ، يخرجون من مكان إلى مكان يحلوى في أعناقهم بنائم واستهوى وسحب ، ويوهمون ليس بالعدل والشهاب ، ووعهوسهم في الجمع إلى صور الأولياء ، وبرسول ليس بحس اشعة من دفاء القصور ، وظنوا أن الله تقبست أسماؤه عكاه لا عكس الوصون إليها إلا بواسطة هؤلاء الأولياء ، وغاب عن الناس تعاليم القرآن ، وهم بين عال وحاد ، فصار يشرب الخمر ، وشعاطى الأقيون في كل مكان ، وبسرب محباء ، وهكوا بستر الحرمات على غير حشية ولا استحياء ، وبال ملكة الكرمه وخدمة القصور ، ما نال غيرهما من سائر مدن لإسلام ، فصار الخج الذى فرسه السى (الله) على من استطاعه صرآ من المشركين وعلى الخلة ، فقد كُدن المسلمون غير مسلمين ، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ، ورأى ما كان يدهى الإسلام ، لغصه وأطلق للعه على من استحقها من المسلمين ، كما ينس نرتدون وعنده الأوثان .

مع حال المسعى إلى هذا المراد الأسفل من الانحطاط ، وذهب بهم الجواه كل مذهب رعب الشمس التي أشرفت سورها انطعات ، وانعشت نصائب رعب الدع

وانكسرات ، وسع الرحمن القدي رفق الفتوق التي صلت بها العقول ، وحر الصدوق التي حارت لأجلها الألباب .

ألا ، وذلك الرجل لعقري القدي ، هو الإمام العارف بالله الحجة الشيع ولي^(١) الله ، من عبد الرحيم الدهلوي ، قدس الأرمس ، غير الأرض وتغير الجو ، وحقق رايه ، أسكنات واسه ، من ذرة احد ما كانت ما كسه ، وظهرت بوادر الإصلاح والتحديد ، احد ما كانت حافية ، وذلك كله بمساعي الإمام ولي الله الدهلوي ، وأعماله "نصرة" بلذمين الكرام ، وتلاميذه النجباء ، والوابع العظام الذين حددوا مآدرس من آثار الدين لقم ، وأحيوا معمله ، ورعدوا الناس في الاعتصام بالكتاب والسنة ، في غير ذلك من أبحاثهم التي تصيق عن سردها بطون الأسفار .

ولكن هذه النظرة الإجمالية في تاريخ الإسلام في الهند سبق لأفصة نراء ، إن أعطينا ذكر أعمال الإمام ولي الله ومساعيه الحظية في إحياء دعوه الإسلام ، وإقامة الدين من جديد . وهأندا متعنين إيذ ملتبس من حلالت أعماله ، منوحيًا بالإبحار حسب ما استطعت .

(للبحث عمية)

(١) ولد سنة ١١١٥ هـ هجرية . وكان أبوه الشاه عبد الرحيم (قدس سنة ١١٣٦ هـ) مسوداً من كبار الشيوخ في عصره . قرأ الإمام على أبيه وتخرج على يده ، ولم يجاوز السنة الخامسة عشره من عمره . ثم انتقل بالتمريس إلى أن نائب نفسه إلى رايه ، المعروف الشريفين ، فدار اليها سنة ١١٤٥ هـ ، وهو إذ ذاك في الثلاثين من عمره ، وأقام هناك عامين وقرأ الحديث على الشيخ في الصاهر محمد بن إبراهيم الكردى الذي (قدس سنة ١١١٥ هـ) ثم رجع سنة ١١٤٥ إلى الهند وبق بها يدرس ويصنف ثلاثين سنة ، انتفع بها قرحلاها خلق كثير لا يحصى ، ووافى سنة ١١٧٦ هـ . رحمه الله ونصر وجهه يوم القيامة .

سبحات فكر

لمعاهدة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

مترجم من اللغة العربية

رمضان

صوم رمضان مشقة ولكن لابد منها لرياضة النفس على أحيان، المشاق وهو حرم، ولكنه عظيم الأثر في وطن الإنسان على ما تكبره وهو يعبر في أسلوب العيش، ولكنه حسن بحسب أساسه - حباً - هذه الميزة المشابهة التي يصنع الإنسان فيها ويعيش على نس واحد

ول أن يحمل الإنسان ، على ما تكبره إلا في رمضان ، وقد أن يحرم الإنسان منه ، تشبه حباً إلا في رمضان ، دون أن يمر الإنسان أسلوب عيشه ، وعلم من هذه الدائرة المربعة إلا في رمضان ، وقيل من من دهره ساعات البحر وسبب لفرح طوبى عامه ، إلا في إلى رمضان ، وقد أن يراد الناس وسادوا ويراحوا وهرجوا كما يفعلون في هذا الشهر المبارك

فيما من لا يصوم رمضان لأنه لا يرى الناس ولا يرى رياضة النفس ، وهو في شغل شغل من لدائه ليل نهار ، وفيما من لا يصوم رمضان إشفاقاً من مشقة ، وعجزاً عن صبره على مكروها ساعات ، وفيما من يصوم رمضان ولا يصل إلى صومه وعشه ، من يكون في الصوم أشد شراسة وأحد سلاطة ، وأكثر عتواً وعجهاً

إنما يريد الصوامين بروجون أحاسنهم وأصعبهم ، ويطوبون، لأبنائهم وأرواحهم حوالا الشهر بالحكمة واللغة والمودة والمرحمة والذكر والفكر، فيخرجون من الشهر كما يخرج للرب من المشقى وقد أمل واسترد محنته - رب صوامين هم من رمضان في عادة وملاح مستمر ورق متصل ، وهم في سائر العام في أثر رمضان وه كراهة وهداه .

التراويح في الحرم

صليت التراويح في المسجد الحرام ؟ والإمام يقرأ فيها جزءاً من القرآن ليحرم القرآن في الشهر .

قام الإمام في حاش المطاف متوجهاً إلى الكعبة بين الركن اليماني والخطيم وقوم الأئمة في عمر التراويح من مقام إبراهيم والكعبة متوجهين إلى الجدار الذي فيه الباب ؟ ولكن في التراويح يصحون المصافى للطائفين فيصلون حيث ذكرت .

لا تسي الصفوف بحبطة ما كعبه على نظام محكم ، والمصايح ترسل على الوجوه نوراً ، والقمم فوقها بإضاءتها إضاءة للصدين ، وانهم يسرى فيمحو عن المسجد حرارة النهار ، ويمسح وجوه المسلمين وعسى ثيابهم رقيقاً رقيقاً

والقرآن تبعث بهمة فتحات أسور والهدوء ، يوم من أيامه متصلة مد قرأه الرسول الكريم حول الكعبة أول مرة

وانكسر يدوتى في الأرحاء كأنه وقع في هذه الموسيقى الروحانية التي يؤتيها نور المصايح وأشعة القمر وحفقات الدم وتلاوة القرآن

كنت أشتغل عن الصلاة حيناً فالتأمل في هذا المشهد العظيم ، أقول : وما عيت إن شئت عن صلاتك لزمى صلاة السماء والأرض في هذا المرائى الرائع ، وتصر فيام الماء كله حول الكعبة . أليس هذه الصفوف مقدمة صفوف صلاحية متواصلة من الكعبة إلى أقصى الجهات ؟ . . . هل يغامر ميل من الأرض في بلاد المسلمين من معبد معد أو جماعة أو جهة الكعبة ولسانها القرآن ومدادها التكرار ؟ فنظر إلى هذه الجماعة انكسرت تلاحق صفوها ، واسمع إلى هذه الموسيقى توالى بها ، وعند موحاتها من هذه الكعبة إلى بلاد نائية في أقطار الأرض ها مركز الدائرة ، وها قطب القطايطين متوجه إليه القلوب والوجوه ها أحواء المسلمين ها موحيد الله . . . الله أكبر

إن الله لا يعبر ما يقوم حتى يعبروا ما بأعسهم

إذا رأيت أمة معتلة ، أمورها معتلة ، فاعلم أن أهل الداء في الأوصاف ، وأن كل ما رى من فساد ظاهر أعراض للداء يستكن .. بحسب أن داء أمة لا قدر تعطى المال ، ويدر عليها المكاسب فتعبر الظواهر وسقى البواطن سقيمه ، ويظهر سم في الأقنوان والأفهام على مدل الحيات ولأشكال .. ثم أمة سقيمة أحكم القويين وأصلحها تقبل في أممها إلى قوايين فاسدة ، أو تنق ألقاها صالحة ومعانيها معطلة .. وأوثق هذه الأمة عما شئت من نظام في سياسه ، وإدارة أمورها ، وخالع مشئت في وضع القوايين وإقامة الحراس عنها تحدد للأهواء تحللا من هذه القنود ، وللرئيس سلطنة فوق هذه النظم

وتستطيع هذه الأمة أن تأس كما تنس الأمم لصاحبة ، ونحدد من العدد والآلات والرياش والزمه مثل ما تتحدون ، بل تستطيع أن تحدد مصداق من العلم والصناعة ؛ ولكن هذه الأنسنة والعدد والعلوم والصناعات لا تصلح أحوال الأمة ، ولا تسعدها ما دامت الطوايا سقيمة ، والأخلاق غليظة ، وما نعت القوس التي تلتس وتصرف بالآلات والزسات مرسعة ، لا تدرك النظم والوثام ، ولا تدرك الحق والخير ، ولا يحج إلى اتعاون والتعاضد والمواساة .. إن هذه الطواهر لا تصلح الأمم ولا تسعدها من حال إلى حال إلا ظاهرا ، ولا يحول دون انظم وإعابة والحرمة والاحتياط فلاجرام سراً أو علانية ؛ إنما الأمم الأخلاق ، وإنما مستقر الأخلاق لنفوس فأصلح القوس تصلح الأخلاق ، وتصلح الأمة .

« إن الله لا يعبر ما يقوم حتى يعبروا ما بأعسهم » .

مراد الصبر

نوم حواد الصبر ريثاً وماله ركاب برحلى أو غنان بأعلى

« إن مال »

رجه عند الوفاة مرمك

دعاء

للأستاذ محمود جعفر الجبالي

لا يستطيع غير المسلم أن يدرك ملالا من قوة وبمكس في القلوب مهما اختلفت
أحاسيسها وبعدها كواها ولهاها ، بل إن هذا الدين المتين ليمتد ذلك الطبع الفريد
الذي هو دليل آخر على قوله تعالى « إن الدين عند الله الإسلام »
ولقد رأيت برهاناً على ذلك بعبارة ، وجمته بأدنى . .

كان ذلك في مكة المكرمة . وقد طعت يوماً بالبيت العتيق ، وأكلت الأضواء
أسعة وأن في صمت عميق ؛ فالتكوت أحياناً أبلغ من الكلام : لا تعلم ما في نفسي ولا أعلم
ما في هيك إنيك أنت علام لبيوب . . . وكنت أبتلع إلى ما يتم به إخواني الطنمون
أحياناً ، وما تعلم به أصواتهم أحياناً أخرى ، من دعاء محتجب الألس واللغات
واللهجات ، فأقول في صبي . . . سبحانك اللهم وعحمدك . . . سبحانك يا عظيم . .
شاهد حكمتك الباهرة أن يحس هذا أو بيت وضع للناس ، وأن يحمل أفضة من أسس
مهي إلى ، استجابة لدعوة خليلك إبراهيم عليه السلام . وهام لناس من كل لون
وحسن ، ومن كل فج عميق ، هرعوا إلى البيت العتيق ، سائمين مستعصرين تائبين .
ما أحلى وقع هذه الأدعية في الأذن وما أشد وقعها في القلب . وما أبلغ
دلائها على عظمة الخالق ، وعلى عظمة الإعلاء بالخالق وعلى جمال الصودية للخالق
وانتهى في المطاف إلى الدم ، فوقفت وأما صامت أيضاً ، حتى لاحظت لي فرحة بين
الترمين ، فتقدمت والرميت الأنتاب المقدسة ، وانتقلت إلى عالم آخر ، تصاوت إلى
حواره كل أساب لعظمة المادية والزعم النبوي ، وتقدمت الروح من سيطرة
الحسم وكثافة المادة إلى شفاقة حاسة وحسية فائقة ، وحدث أنصهر في دهي
ما سبب ذلك المقام الربيع ، لدى بابه المكرم ، من عذرات أثرها عبران الدقة وأصوعها
معبّر النلاعة ، حتى يد ما بدأت دعائي كان كما أحب وأعتقد أنه يليق بحلال الموقف .
... وطرق سمعي دعاء .

كان صاحبه يعب إلى حوارى ، وكان رجلاً من المادية ، سادساً ، بسيطاً ، فقيراً

هادئاً ، ارتفع صوته في نبرات صريحة صافية ، وحدث عباراته من رخاوي انطق واصطلاحات التعبير ، ارتفع صوته الأدبي المحرد بدعاء سادج بسيط ، هادئ ، مترسّد وشملت عن بعضي ، وعما أعدته من دعاء ، وعن كل ماحولي ، سماع هذا الدعاء ، كان دعاء جديداً لم تألفه أدنى كتبتك الأدعية المألوفة ، وكنت أحياناً ثلاثكة تؤمن عليه . وإن تسقى هذا كره ينقل ، كان يدعو به صاحبي بالنص ، فقد كنت يد ذلك في نشوه

كان صاحبي يقول . لقد طفت بيتك يا الله ، باعظم ، راعياً ، عجباً ، طامعاً ، وأنا أطلب منك يا الله ، أن تغفل طوافي ، وصلاتي ونسكي

لقد طفت بيتك يا الله ، حالصاً عخلصاً ، نادماً مستعزراً ، ومن يعمر القلوب إلا أنت ، وأنا الآن واقع ببيتك الكريم ، أحد من حق كعبك ، أن أسألك لقول . لقد طفت بيتك يا الله ، بعد أن ركت أهلي وولدي وولدي ، وحشتك راجياً عموك ، سائلاً فضلك ، ومن عرك أرجو عموه ، وأسأل فضله ؟ .

لقد طفت بيتك يا الله ، مودعاً ، وأنا أريد العودة لأهلي وولدي ؛ فأستأذك يا مولاي أن أعود لأهلي وولدي .

أنت يا مولاي عموي نجيب الممو ، كريم نجيب السائلين ، عمور نغفر الذنوب جميعاً ، وقد طفت بيتك الكريم مودعاً ، وأنا أستأذك أن أعود لأهلي وولدي ، فأدني يا الله أستأذك يا الله في العودة إلى ولدي وولدي ، ولكي أسألك يا الله ألا تحرمي من رؤية بيتك الكريم ، صرات ومرات .

كانت هذه هي المعاني التي يرددها صاحبي الندوي بأسلوبه السادج البسيط ، وبسته الدوية الخالصة ، وكانت كلماته زن في أدنى اتصال إلى أحماق قلبي ، وكنت أؤمن على كل كلمة يقولها وأحد فيها حير ما يعبر عن خواطري وانتهالاني .

هذه هي اللغة التي تصل ، غير مزوقة ولا منقحة ولا مرتبة ولا منظمة . . ولكنّها تصل .

هذا هو الدعاء ، الدعاء للقول ، لأنه صادر من قلب خالص ، لم يشعل عن ربه شيء من مشاعر الجفاء ومشاكل العيش ، وما أكثرها وأشدّها بالسة لصاحب ذلك القلب .

رجل فقير ، لو نظرت إليه لحذنه حملاً أو سقاء ، ولكنه كان مؤمناً صادق الإيمان
كعب أراه في موقعه هذا قريباً على المقام ؛ كيف لا وهو يبأحي ربه بهذه اللعة
لنقى تصل

كيف لا وهو يستأذن في ابعوده لأهله ولذله ، ويخفص صوته بكاء ، وسجود
دموعه بعد ذلك كأنه لسان حاله يقول : لولا أهلي وولدي ما ركبت ناك .
واتعمت دعائى وانسجيت ، تاركاً لصاحي أن يتم دعاءه الصامت ، فقد عبه الكاء
وحقيقته العبرة لفرط ما شعر به من مرارة فراق البيت العتيق .

وألفت نفسي أو من طي دعاء اسدوى ، وعلى دعاء كل مسلم ، متعباً لنفسي مثل
ما كان يدعو به ذلك اسدوى السادس ؛ فلقد كان أجمل ما سمعت من دعاء ؟

لا يجتمعان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع غار في سيل الله ودخان جهنم
في مسجدي رجل مسلم ، ولا يجتمع شح وإعسان في قلب رجل مسلم » .
(مسند أحمد عن أبي هريرة)

مسلم يكشف الفاصل المغناطيسى

«الرجل الذى تقدمه «السلوى» اليوم إلى أرضها رحل عرفناه وعمره قومه في مسطير وهمان بالورع الشديد وأمانة الرأى . وقد حاول الإحليل أثناء الانتداب أن يتولوا على اكتشافه ، فاستبهم وأبى عليه إيمانه أن يبين عدوا ... وهما هو ذا يجد يده إلى المسلمين » .
التحرير

اشتغلت من قديم بالبحث لإيجاد آلة تدور دون استخدام أية قوة معروفة ، وقد توصلت والحمد لله بعد جهد طوي في مدة يزيد عن العشرين عاماً إلى استخدام قوة المعطيس الثابت بعض الطريقة التى يستخدم بها النار الكهربائى لإدارة الآلات ..
إذ أن التيار الكهربائى يحصل من بعض قطع الدوائر الكهربائى حديداً معطيباً مؤثت يحدث بعض أجراء الآلة ، ثم يقطع التيار عن تلك القطعة ، ثم يعود وهكذا إلى أن تكون الحركة في جميع الآلات الكهربائى لى تدور بواسطتها المراوح والترامبات ... إلخ ولكنا نحسر من هذه الحركة يدرأ كهربائياً . وأما في الآلة الجديدة هذه فإننا سمكن من إدارتها بواسطة فصل المعطيس الثابت ووصله جيباً يحدث أجراً الآلة ويتركها ، فتشكل الحركة التى عكس أن يدور بها أية آلة كما تدور بابير الكهربائى .
ولكننا لا نحسر شئ في هذه الحركة لأن قوة المعطيس الثابت لا رول منه إلا بالطرق أو الإحما في النار ، وذلك صيد .

وكت في بادئ الأمر أظن أبى أول من فكر في استخدام قوة المعطيس الثابت ، ولكنى علمت بعد ذلك أن علماء كثيرين قد فكروا ، ولكنهم لم يبتدوا للسرا الذى هدانى الله تعالى إليه .

قال لا محذورى العالم الإسكندري العاصرى « كنهاته الكهر معطيبية » في باب قابلية الانصرال ، لا إننا لو توصلنا لإيجاد الفاصل المعطيسى لحصل انقلاب عظيم في عالم الاختراعات والكهرباء .

وإن اختراعى هذا لا يوجد فيه شئ جديد إلا السرا الذى يحصل للمعطيس يترك الحديد بعد حده ثم يحدده ثم يتركه إلخ . وهو الفاصل للمعطيسى الذى عناه لا محذورى هؤلاء ذلك ..

ومما يحسن هذا الاختراع دأ مهمة عظيمة - إن شاء الله - هو وجود العظيمة
القوة في هذا العصر وسها (الأسكو) وقد شرت عنه مجلة «راديو كرفت» الأميركية
في عددها الصادر في نوسو سنة ١٩٤٥ صحيفة (٦٠٠) « إن هذا المصطفي الحديث
تستطيع القطعة منه أن يحبس أكبر مهاب (٤٤٥٠) مرة من ور ٣٥
صلى هذا لو أخذنا من هذا المصطفي قطعة بحد حجم مآثور السيارة ، ثم استخدمنا
فيه هذا السر الحديد لأمكننا أن ندير أكبر مآخرة في البحر دون أن نحسر عليها أية
مادة من الوقود .

وفي اعتقدي لو أن هذا الاختراع وجد قبل الحرب الأخيرة لما شمت ؛ لأن
أساسها كانت في أعالي نفاضة على امتلاك ماسع التزول ، وهذا لاختراع سيوفر على
العام ملايين الأطنان من التزول في كل يوم .

بني رجل فقير ، ولولا ذلك لاحت الاختراع بنفسى ، ولكننى على استخدام تام
للانفاق مع أية حكومة مسعة أو شركة مسعة بالشروط المتعارف عليها دولياً إزاء كل
اختراع جديد ، وسأفنى لها بعد ذلك باحققة السعة التى اكتشفها .

استدراك

رحو القارىء الكريم أن يصحح الآية الكريمة التى حادت في انظر السادس
من الصحيفة العاشرة في العدد السادس هكذا : « بل تتبع ما ألفنا عبد آناه . »
التحرير

تونس

لسماحة السيد « محي الدين القليبي » الرعيم التونسي

لا يمكن أن يحل المشكلة التونسية بمفاوضات ثنائية ، لأنه لا يوجد مكافؤ ولا تعادل بين الطرفين التونسي والفرنسي ؛ الجانب الفرنسي يمثل شعبه وحكومته عتيلا ديمقراطيا صحيحا ، ويملك حريته الكاملة في اختيار الخطة التي يريدتها في المفاوضات والعروض التي يقدمها ، ووراءه إلى جانب ذلك القوة وسلطان القاهر في الجانب التونسي للفاعل الذي لا يملك شيئا مما تقدم . وفي المفاوضات التونسية الفرنسية الأخيرة التي شئت عنها الحوادث الدسوية في تونس أعطت فرنسا للعالم صورة المفاوضات الثنائية التي تريدناها وريد أن يحل بها إشكل التونسي ، وقد تقدمت فيها إلى الجانب التونسي بعروض تنج عن رفضه لها ، وإحالة الخلاف على المنظمة الدولية التي وصفت للفصل في مثل هذه الخلافات أن أقالت فرنسا بوراها التونسية التي هي الجانب الثاني في المفاوضات خبراً ، وأرسل قرارها إلى المعتقلات ، وحات بورارة أخرى مدتها وقدمتها لحالة الملك ليوافق عليها ، أو تقيده هو الآخر ، ورسله إلى المعتقل كما فعلت نابي عمه من قبل حالة الملك محمد للصف الذي مات في سعاد ؛ فالورارة التي احتارها فرنسا اليوم هي التي سيعاوض فرنسا . (أو جورج الخامس هو الذي سيعاوض جورج الخامس كما قيل في مصر) وإذا لم تفعل هذه الورارة عروس فرنسا كان مثاها كئال ساقها الخلع والاعتقال . لذلك فإن الأمة التونسية تعارض تمام المعارضة في إجراء مفاوضات ثنائية مع فرنسا ، وتطالب بأن تقع المفاوضات تحت إشراف الجامعة العربية والجبهة الآسيوية الأفريقية من سطحة الأمم المتحدة ؛ لأن هذه الجبهة في تقديمها للشكوى أصبحت طرفاً في النزاع ، ثم إن هذه المفاوضات يجب أن تحرى على أساس الاستقلال التام لتونس ، لا بصفة مطلقة خالية من تحديد الهدف ، ولا حول إصلاحات داخل نطاق الحماية من شأنها الوصول تونس إلى الحكم الذاتي والاستقلال الداخلي على مراحل مع نهاء الاحتلال لحل المشكلة بهذه الصورة مستجبل أيضاً ؛ لأن معاهدة الحماية وملحقها (معاهدة باردو ١٨٨١ وملحق للرسي ١٨٨٣) تنص على أن الاحتلال مؤقت يزول باستتباب الأمن في البلاد ، وأن الدولة التونسية التي هي حاسب في العقد متمتعة باستقلالها الداخلي وبعض نقاط في الخارج أيضاً ، وأن مهمة فرنسا لا تتجاوز مراقبة تعيد المعاهدة والإشارة بإصلاحات عدلية ومالية

وإدارية بحريها جلالة الملك إلا أن فرنسا لم تحترم المعاهدة التي أمضاها معها وأحرقت ملك تونس على إصمائها تحت حرب بحدها الذي كان يحيط بقصره ، ولم تمنح من الوقت للأمل في تلك المعاهدة واستشاره رجال حكومته وتغير معنى الحماية عند فرنسا من الرقابة والإرشاد إلى الحكم المباشر للبلاد وإقصاء السلطة التونسية عن مقاعد النفوذ ، فضلا عن أن المقيم العام الفرنسي أصدر في بداية عهد الحماية مرسوما مدكيا ينص على أن للرئيس الملكية التي تصدرها جلالة الملك لا يكتسب الصفة القانونية ولا يصير نافذة المفعول إلا إذا اطع عليها ممثل فرنسا ووافق على نشرها بالحريمة الرسمية ، وإلا فهي ملغاة ولو كان الملك في هذه الظروف يملك حرية التصرف بما أصدر هذا الحظر على نفسه ، وما حول السلطة المخولة له إلى ممثل فرنسا ثم تطورت الحالة تطورا آخر دُعي مديرو الإدارات التونسية ورؤساء المصالح كالهم من العريبيين ، وكذلك حكام الجهات ، عمل جلالة الملك في المملكة هم تحت سلطة مراقبين المدعى العريبيين الذين هم بواب المقيم العام . وانواراة التونسية تحت سلطة الكاتب العام للحكومة والذي هو فرنسي أيضا ، وهو تحت سلطة للمقيم العام . وبذلك لم تنل السلطة التونسية من نفوذ ، ولا للحكومة الوطنية من وجود ، وأصبحت البلاد واحة تحت الحكم الفرنسي المباشر الذي أصبح نذما فيما وقع أخيرا ما طلب ممثل فرنسا من جلالة الملك إقالة الوزاره وامتنع جلالة من ذلك ، فحوصر قصره بالجند المدحج بالسلاح وهدد بأن يحرق قصره وأن يخلع جلالة ويرسل إلى المعتقل ، وحل ديوان جلالة رعيه عنه ، وقالوا رئيس لديون الذي هو أكثر أحماله ، وألزموه الإقامة في قصره وشمل حركة الاصطهاد هذه لوزاراه التونسية بما فيها جلالة للثلاث ورحل الشارع ، إذا فهناك إلى جانب مشكل شرعية الحماية وملائمة نقاشها في هذا العصر كوسيلة علاقة بين أميين مشكل آخر ، وهو فهم الحماية بالنسبة لكل من الطرفين ، والنون الشاسع بينصوصها التي سزمها فرنسا ، وبين ما تقوم به في البلاد الآن ألم تلتزم في المعاهدة بأن تحمي جلالة الملك وعائلته من كل اعتداء داخلي أو خارجي ، وأن تحمي بلاده كذلك ؟ فمن الذي يحميه منها الآن وهي تعتدي عليه وتطعن حكومته كما يبا ؟ بالإصلاحات مهما اتسع نطاقها لا يحل هذا المشكل ، والاستقلال القادى على مراحل لا يقصده الفرنسيون إلا ربح الوقت ؛ إذ من الذي يقدر مدى هذه المراحل ؟ وهل يترك الفرنسيون للشعب حرية العدل لقطع المراحل والوصول إلى أهدافه ؟ فالمشكلة في الأصول لا في الفروع فالمعاهدة تنص على أن الاحتلال دعى ، وفرنسا تصرح اليوم بأنه حالة دثمة ، والمعاهدة تنص على أن النفوذ يجب أن يكون بيدها ، وأنها تشترك

التوسيع فيه شيء فشيء (سياسة المشاركة) وأمثال هذا كثير من نقاط الخلاف التي لا يمكن أن نحل إلا تعرضها على ما يجري في العالم الآن من تطور في العلاقات الدولية. أعد عرضاً قضيتنا على مطبعة الأمم، وكان الحد الفرنسي يقوم بحركة قمع قاسية؛ يقتل ويغتفل الآلاف، ويدسف الدور والساكن ويتلف ما فيها ويث الروع، وكان أساس يظنون أن مجلس الأمن سيكلف لعدوان، ولكنه قرر عدم إدراج القصة في جدول أعماله نظراً لموقف أمريكا التي كان لها موقف محايد من قضية مراکش من قبل وقالت هذه الحكومة: إنها ترمي من وراء التصويت لعائدة فرنسا أن منحها الوقت لثم حركة القمع التي اندثرت فيها، وقال وزير الخارجية الأمريكية: إن توس لم تصح بعد، ولا يستحق الاستقلال، وهو يشير بذلك إلى أن حل المشكلة لتوسى يجب أن يتم طبق رغبة فرنسا من معاومات ثنائية، وعلى قاعدة الإصلاحات لا على قاعدة الاستقلال التام، لأن توس لا يوجد فيها مطار للملاحة كما في طرابلس، والذي يفصله كانت طرابلس أحذر من توس بالاستقلال.

لقد عرضنا قضيتنا على مجلس الأمن، فرفض قولها بأغلبية الأصوات، ووطن الفرنسيون أنهم انتصروا عليها بحدث، ولكننا نحن الذين انتصرنا عليهم وعلى حلفائهم وبصرهم؛ إذ بسا للعالم بوضوح تام - تعرض قضية توس ودمراكش - ماهية مطبعة الأمم، وماهية المادي، التي تقوم عليها، وماهية الديمقراطية التي تنهج بها الدول الكبرى، وماهية قيمة وعود هذه الدول التي كانت تعمل أثناء الحربين العالميتين؛ إنها تعارب من أمن حرية العالم وسلامه، ولست الدول الصغيرة في هذه المنظمة وعلى الأحص الدول للسكنة في حبة آسيا وأفريقيا أن وجودها ضمن للظمة لخدمة أعراض الدول الاستعمارية الكبيرة، لاندقيق سلام العالم وأمنه وسيادة لكل المبادئ ثم إن العالم كله كان معاً إثر ذلك القرار، ولم يكن في حجاب فرنسا ولا أمريكا وإعلاناً، وقضيت أصبحت قصة العالم الحر وقضية آسيا وأفريقيا، ولم تكن لتحصل على هذا بولا ذلك القرار؛ حتى إن الشعب الأمريكي والإنجليزي والتركي قاموا بحملة ضد حكوماتهم وأمكروا عليها موقفها المضاد لحكومة توس، والكرة بما سينشأ من بعد وعندها بين الصرخن، وهل سيسود العالم مبادئ القوة المسلحة، أم مبادئ العدل والسلام؟

مع العارفين

خالد بن معدان

فرغ الناس من صلاة العشاء ، وكانت صلاة وضئفة ترف بالبور ؟ فإن إمام الناس كان
التي العابد أيمن بن سعيد ، وقد فتح الله له الآية معاليق سورة القتال في الركعة الأولى
وسورة الفتح في الركعة الثانية فلكأههما تركا الآن من رحاب قدس الله ، ولكأن
في صوت أيمن كهرا ، قاهرة سرت رعدتها في مئات الصلطين خلفه وملأت للسجد كله
بوراً ورهبة ..

وحرح المصلون من للسجد في تنوة عاية ، وانتشروا في سكك المدينة يؤمون
يؤمنهم ، إلا نور من يمد فعد سلك الطريق المؤدية إلى القاهر ثقل الحطى شارد العكر
يكاد تخرج كما يحمد . وما لست أن أدركه سعيان بن عبيد .

— السلام عليك ورحمة الله يا نور

— وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا سعيان

— إلى أين ؟

— إلى الدار الآخرة أتم ربحها يا ابن عبيد ، وأرور عند أعتابها الأحبة .

— وما حملك على ذلك الآية وأهلك للرضى ينتظرون أوتك ؟

— وماذا أمل لهم .. هيه .. جزى الله خيراً أيمن بن سعيد ، لقد أذهب عناهم

الدينامهم الآخرة ، ودكثرا بأخ عرر حبيب كنا في صحته سنوات طويلة في مثل ما كما
من هذه الصلاة الوضئفة ، وكأما ألقى الله على لسان أيمن سورة القتال ، حتى تكل
نصارة الذكرى .

— كيف ؟

— هذه الآية الكبيرة ياسمين : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »

ها أكثر ما كنت أسمعها من « خالد بن معدان » رحمه الله عليه ، كان يعيش بها في
حقائق كبيرة يسمى بها ويصبح ، وكان يكررها لتحرج من فيه العذب مشرفة مفسثه
حيث بالأسرار .. ما أكثر ما سمعته يقول : « ما من عبد إلا وله أربع أعين . عيان
في وجهه يبصر بها أمور الدب ، وعيان في فيه يبصر بها أمور الآخرة ؛ فإذا أراد

الله بعد حراً فتح عباده اللتين في قلبه فيصيرهما ما وعد بالنيب ، وهما عب ، فأمن
النيب بالنيب ، وإذا أراد الله تعيد غير ذلك ركة على ما هو عليه » ثم يقرأ : « ثم على
قلوب أفعالها »

فه هؤلاء الصالحون يُدكرون بذكر الله ، وذكر الله بذكرهم

لو أنك صحبه ياسعيا لقد كان مماء نعيم باللائكة ونور كانت الكلمة
تخرج من بين شعبه ، فأحسن بها أحياناً كأنهم الدرر أشرف حياء على سائر مكدود
صل طريقته في مهراء شعبة وأحسن بها أحياناً بمن ومضى النور ورحة الرعد
فصنع لها قلبي لا أراي أدكره - رحمه الله - وهو حالي بيب محله لأرض مشرق
الأسرار ردى الصفحة يسكن في قلوب النور وهو يقول « قال الله تعالى إن أحب
عبادي إليّ المتحابون بحبي ، العلفة قلوبهم بالمساجد والمعمرون الأسرار أولئك الذين
إذا أردت أهل الأرض يعقوبه ذكرهم فصرفت العقوبة عنهم » . . . ولا أزال أدكر
عصته في الحق يوماً ثم عظمته لما بعدها ريسا رسته العلة قال « من التمس
المجاهد في محافة الحق رد الله تلك المجاهد عليه دماء ومن احتراً على الملوم في مواضع
الحق رد الله تلك الملوم عليه حمداً » لقد كانت كل كلمة من هذه الكلمات كأنها
النهم الرائي بسنده إلى معنى الصعب في كل واحد ما ، فبرديها معنى . معنى

— ومن أس له كل ذلك يا نور ؟

— ذلك فصل الله يؤتبه من يشاء . . . ثم هي بركة محبة الأبرار ياسعيا ، فقد
صحب خالد بن معد بن حبل وعنده بن الصامت وأبا عبدة بن الخراج وأبدر ، وروى
عنه روى الله عنهم وأرسلهم .

إن مثال خالد يا أحى قلاع هداية تنصها رحمة الله للناس ، وتأتي عزة الله فع أحدهم
أن يعرف الناس كيف صنع إلا أنهم يرونه قائماً شامخاً سر الله فيه ، فلا يملكون
بين يديه إلا أن يحشعوا لله الذي صنعه

لقد كان خالد يا أحى يتحدث عن الشيطان ، فكأنما هو يحسك به بمصره ويعظم
صلوعه . . سمعته مرة يقول : « ما من عبد إلا وله شيطان مشط ففار ظهره ، لا وعقه
على عاتقه ، فاعرف فاه على قلبه ، فإذا ذكر الله حس ، وإذا عفل وسوس » . . . فكان
الشيطان والله اكشف أمامي بكل عوراته ، وكأنني أوتيت هذه الكلمات أسلحة النصر
جميعاً في معالته . .

وكان حاله يحب إليها فعل الخير ، فيأخذها إلى آفاق عالية ، ويصوره له في الصورة التي يرى بها القلب ويحقق . أقسم لكأنى لا أزل أسميه يقول « من قال سبحان الله ومحمده صادقا بها قمه جعل الله لها عيين وحاحين ثم طارت تسبح مع المنسحين » . وتطرب باسميان حين تراه في هذه الآفاق العاتية فرما رحيب ، يقدر الحقيقة في الثوب الناعم كما يقدرها في الثوب المرفع . سمعته مرد يقوب . « إن الله لي شكر للعبد إذا قال الحمد لله ، وإن كان على فراش وطير وعنده شاة حياء » .

وكانا قد أدركا المقابر وسلما على أهلها ، وحمل ثور بدور سعيان يسير حتى وصلا إلى قبر خالد بن معدن فوجها ماشاء الله أن يقف ، ودرقا من الدمع ماشاء الله أن يدرقا ، ثم عادا أدراجهما ونور بتعم :

هتأ لك يا خالد محاك وممالك لعدي كنت دائما شديد اشوق إلى الرجل ، رائح الصدق في ذكر أحوالك الذين سقواك إلى ربك لا أراهم أصيح صواتك الخلو يتردد في أدنى وأنت نستقبل فراشت كل ليلة فتسبحهم واحداً واحداً وتموب « هم أصلي وعصلي ، وإليهم يحس قبي ، هذا شوق إليهم ومن رى قصي إليك » .

هه ياسعيان . . . مني الرجل ٢٢٣

في الحراب

سبيحي نفسي ومضى	عند سطو العباديات
وإذا القلب تنزعى	من تباريح الحياة
رفرق القلب دموعا	وامكيبها في الصلاة
والله الناس يصني	للعوس الباكيات

لو يصلي . فليصل

ناسك الزمن...

للاستاذ محمود حسن إسماعيل

أصعب أنت حلّ على الأرم
قطعت الدهر جواراً وياً
نحيم... لا يحدّ حمالة ركن
سحت شعرة الضيفان، أنت
ورخت سنّ للأحواد شرعاً
نأن الجلود حراماً ورهناً
وأقسم أن يحنّنا بالصبي
يسود نرازه و كلّ عالم
فكلّ لأرض مهد للحيام
فيمت من الصيفة بالقيام
من الإحسان علويّ النظام
أعزّ من الشراب أو الطعام.

أشهر أنت أم رؤيا منب
تمرّع في طلائك كلّ عاصي
هنت تحير الأثام تحري
راك شمع توتنها، فتحرى
وأنت قنارة العفراء، بأوى
وعند الله سؤلّك مستجاب
تلق طنمه، مثل الشهاب
وكلّ مزجيّ ديس الإهاب
فتلحقها بأحلام العذاب
وتؤاد تحت أخصبة الشباب
إليك اليائسون من المساب
ولو حطت أودار التراب.

وقفت حطاك عدد الثائبين
تساق إليك أمواج التحايا
فكم آهات محروم حدها
فكنت ليئلمهم فتنا مينا
فتدفعها باب المعورينا
إليك التوسّ، فاقطعت ربنا

فَأَتَتْ مَفْرَعُ الْبُحَالِ . تَحْرَى حَطَاكَ عَلَى جِجَارَتِهِمْ مَيْسَا ..
وَأَتَتْ مُلْقَنُ الْأَيْدَى نَدَاها وَمُكِبُهَا التَّرَاخُمُ وَالْحَيْسَا
يَحَاكَ كُلُّ قَارُونٍ شَحِيحٍ يَحْضُلُ أَنْ يَرُدَّ الْبَيْلِيَا .

وَمِنْذُ تَهْلُ تَرْهَكُ الذُّبُوبُ وَتَحْفَشِيعُ السَّرَائِرُ وَالْقُلُوبُ
وَتَمْرَعُ أَنْ تَقَالِكَ الْعَامِصَى فَتُزْعَ ، أَوْ تَقْمَعَ ، أَوْ تَذُوبُ
وَيُحْمِلُ أَنْ يَرَاكَ أَحُو قَوَاهَا وَلَوْ قَتَلَتْ مُشَاعِرُهُ الْعُيُوبُ
كَأَنَّكَ فَارِسُ الْأَنْهَارِ ، تَبْدُو فَيَضَعُهَا مَهْدُكَ الْمَصُوبُ
كَأَنَّكَ بِكَمَتِكَ الْبَيْضَاءُ سَرَا مِنْ الْمَحْوَى ، تُكَتِّمُهُ الْعُيُوبُ
تُحَايِيهِ كُلُّ عَيَّانٍ عَمِيدٍ فَتَكْتُمُ الْعَوَانَةَ أَوْ يَتَوَبُّ ..

حَطَلَتْ النَّاسُ فِي وَقْتِ الْمَعْبِ عَمِدَ سَائِكَ الْعَالَى الرَّهْبِ
كَمْ ارْتَقَبُوا الْأَدَانَ كُنْ خُرْحَا يَعْدُهُمْ تَلَفَّتْ لِلطَّيِّبِ
وَأَنْتَمَتِ الرِّقَابُ بِهِمْ ، فَلَاحُوا كَرُكَمَانِ عَلَى سِدِّ عَرْسِهِ .
عُتَاةُ الْإِنْسِ ! أَنْتَ تَسْخَتُ مِنْهُمْ تَدَلُّ أَوْجُهُ ، وَصَتَّى حُثُوبِ
فِيَا مَنْ لَقَمَةً وَخَفِيفُ مَاءٍ يَقْلُبُ رُوحَ سِهْ فَوْقَ الْهَيْبِ ؛
عِلَامَ الْبَحْرِ وَالطُّغْيَانِ !! إِنَّ كَعَرَّتْ عَمَطِقِ الدِّيَا الْعَجِيبِ ..

تَلَفَّتْ لِلْمَاذِبِ حَالِيَاتِ كَعُورِيَّاتِ حُلْدِ سَاهِرَاتِ
تَفُوحُ مَبَاخِرُ الدُّسَاكِ مَهَا فَتَحْسُهَا عَصَمُونَا عَاطِرَاتِ
تَلَا لَا حَوْلَهَا أَمْطَوَانِ يَوْرِ مُعْبِثَاتِ بِحُكِّ هَائِمَاتِ
كَأَنَّكَ حَامِلٌ وَخِيَا إِلَيْهَا وَقَهْرٌ لِحَرِّ مَتَهَمَاتِ

إذا صاح الأذان بهاء أرتت بالهام كموج البحر عاتر
يدكر بالهداية كل ناس ويوقظ كل عاف في الحياة .

وهذا المعبر العالى ارحيم أذان الله ، والدكر الحكيم
نلاه في سكون الليل نال فكاد لهوله تهوى النجوم
بداد مرع الأفلاك منه وتمشع في ماريه السديم
على سمع الهداة ضوع عطرا وتنفذ منه للمارى رجوم
أصاح الكون منحورا إليه وحرر لباسه الأول القويم
برل فوق صدرك من علاه شير الوحي ، والدين القديم

سلاما ناسك الرمن انقوى من انقب الحرين الشاعرى .
تمت إليك أشواق وسرى يحسها إلى الأفق القلى .
تمشى التعبى بالأعالي على سمات فيتلر شى
أمرها على رمى عربا كطير ناة في حلم انسى
وأعرف للصباح والاماسى فينصر الماء لغير خى ..
كأنى ما ذرفت أسى زمانى ولا أفقى صدائى بأى شى 11

طلعت منورا فوق العاد .. فأيقظ من تشبث بالرفاد
وقل للشرق : إن الكون يمشى على سسل قعيبة الرشاد
فجد لزمانك الراد المرجى من الحق القويم والانحداد
ولا يوقظك في التبار هول فدر الهول ، نور للجهاد
لقد ملت تقست الليالى على وضر التسم والفساد ..
شدا لك بالأذان خيل مصرى فقم .. واشتر صداه على الوادى

في جو "إقبال" شاعر الإسلام

لشاعر اليمن القاصي محمد محمود الزبيري

اصتراق ..

يطلب الواحد للحرق وللتعذيب من أصناف الحى وحيدى
ويريد الهوى وقوداً من الأعصاب لم يبق درة منه عدى
قد تمرى أهدت من كل صبر كمت أحياه ومن كل جهد
قد عصاني قلبى وحسب أحاسيسى وثارت نفسى مع الكون صدى

نحن وهم ..

في أعاني القينارة الأعجيبه لفحات المواطن العربيه
وروح القدسة الحرمه سر توحيد الأمة العالميه
ليس للعرب وحدة مكريه هو في فرقة وفي فوصويه
ما بي كعبة له أو بيه تلتنى عده هى المدينيه

رأس مال الرجل السلم

إذا لم تكن ذا نهى واعي وذا عزيمة صبية حاضيه
ولم تدر سر الحياة الصيق ولم تر أغوارها النائية
بين الفؤاد الزحاج البليد سيحطم في الصخرة العائيه

ها موضع القوة الطاعيه ها موطن الصربه القاضيه
فلا تذكر إذا ما رليت للحرب أعلامك اتلايه
وما رأس مالك منك سوى دم القلب والهبة العاليه
وإن الحياة دم عاصف وليست شدى المك والعاليه
إذا ما ادحرت المياه العذاب وأترعت أكوأها الصافيه
ولم تدحر لك ملء العروق دماً كدم الأسد الضاريه
تمت ظلاً في حياة حرت على الدم عاتة قاسيه

اخواننا فی اقصین

• لعل أصبح ما كتب عن المسلمين في الصين هو ما جاء في توفيق الأمير شكيب أرسلان — رحمه الله — على كتاب جابر السام الإسلامي ، وقد رأينا أن تلك المخططات باقية منه نسخة في توفيقنا من معلومات جديدة .

ليس من معروف علي وجه التحديد كمعه تحول الإسلام العربي ولا تاريخ ذلك ، وإن كان
يقع حوالي القرن السابع أو الثامن للملاذ .

ويظهر من كتب العرب أن أول مدح عرفوه من بلاد مصر هو «كاشعر» . وذلك منذ
سنة ست وتسعين للهجرة . إذ عرفوا قومه من مسلم الداهي رضي الله عنه في خلافة نوبت
من عدد تلك الأمويين . قال الأئمة المصري في تاريخهم : «سار وعين مع الناس على أنهم
بعضهم يعرفونه» . قلت عبر اسمهم : «كاشعر» وحلا على منبر النهر يجمع من حرج إلا يجوز معه
ومضي في ارتعاه . وارتحل إلى سبب هدم من يسكن العاريين إلى كاشعر . وهي أدنى مدائن
الصين . نعم وسي وأوعى حتى مع قرب الصين . فكيف إليه ملك الصين أن است إلى رحلا
شريفاً بعد في عنكم وهي دنياكم . فاستعد فدية عشرة رجال لهم جمال وألس وأمس وعقل وصلاح
فأمر لهم بدمه . وارتاع حسن من آخر والآخر . وكان بهم هدية من مشرج الكلابي فقال
لهم : «إني دحمت عليه فأعلموه أني قد حلفت أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأحتم ملوكهم وأجبي
حراهم . فساروا وعندهم هدية» . فقال لهم ملك الصين : «لو أني أصاحكم بنصرف» . فإن قد عرفت
دلة أخصائه . وإلا دلت . «كم من بهكمكم» . قالوا : «كيف نكون الذين الأصحاب من أول حيلة
في بلادك وآج عا في سبب الركون» . وأما عويذ بن «ب» فادخل فإن لا آحالا إذا حشرت فأكرمها
الذين أب . كرهه ولا يحابه . وقد حلفت ألا بنصرف حتى يأت أروكم ويحتم ملوككم وتصلوا
إخريه . «فإن أينا يخرجه من عنده» . ودمت ترات أرونا فيضاً . ودمت إليه مني أستاذنا
بعضهم . ودمت . وأنه شجرة برصا . ثم أحارهم ودمت عن ذكر إلى فتيه فقتل أخريه . وحتم
أشمال وردم . ووصلوا القرب .

والظاهر أن للإسلام ما روح ينتشر في أفق العرب حتى ملغ عدد أهله عشرات من ملايين
رغم سكانه وأنهم غير مؤمنين بعبادة الأصنام ، وذهب لأكثر من أن عدد من هؤلاء كثير ،
وأما ما من صاحب كتاب « المدينة في الصين » خمسة وعشرين مليوناً ، ورغم انهم أربعين
مليوناً ، وكان آخرون منهم يزعمون أيضاً على ذلك ، وإن السواد الأعظم في ولاية « كاسو »
هو منهم وهم « الكاشيانو » وعطارد رجال الطلاب والاشقيين من جميع أقطار الإسلام
الصينية ، وقد أحصى عدد الملاحدين في بعض مدن « كاسو » مئتين مئتين ، وهو ما لم يبعد إلا لمواقعهم
الإسلام الكبرى مثل لايتان ودمشق والاهرة ، وأن كثير من ولايات الصين الحالية نشأ
من الصين ، وهم أهل التجارة والسكك والعمل ، ولذلك نجد حالتهم أجمل وأرسى من حالة
قبائل الصين .

وكان المليون يبدأ واحدة مع أبناء وطعم الموزين والسكر الموسمين حتى التمتع اللوحة

في وقت التوكل من السطان عبد الحميد لإرسال وفد من طلبة الحج مسلمي الصين باسم الخلافة أن يجهر في تسليم ، وحق أبي الكسور ، من جانب من ، الزعم الجمهوري الكبر على مسلمي الصين في الثورة الصينية . من الصين لن يدعوا أبداً نصر حوسم الصين لهم في سبيل تأمد نظام البلاد واستقلالها وحريتها .

وهدد وقت مسلمي الصين في عهد القرب مع أهل تلك المنطقة حروب شديدة من حولها الأطفال ، إذا استعصى حرم المؤرخ م تسكه ، يم ، علف ، ولخصها أن أول ثورة حصلت هناك هي في بلاد يونان ذات عملة من الفضة كانوا يصبون في أحد المدين فأسفر القتال عن تعيب للمسلمين ، وسكرت حركات وأطهر حرق مخرج من بلاد الصين مداه ، فاستعروا إليهم البعثين باعة ، وأدوا باستعمال شأنيهم واهية آثارهم ، وذلك في يوم معين من شهر مايو سنة ١٨٨٦ فاستعمر المسلمون ذلك قبل وقوعه وأخذوا به أنفسهم ، وجروا واستأجروا ، فلما وقعت الواقعة بمرت الطائفة جهنم ، ولم سل الحكومة منهم مأزماً إلا في البرى الى مستورها قتلون ، وسكرت الولاة وصعد الفريدين تعصبهم للمسلمين من أكثر جهات البلاد ، والى لكون في علمه وظهور حتى انتصروا عمود مدينة « طاليو » وهي مدية حصنة من الطرار الأولى من حصول الصين ، وضعوا بها طرماً إلى رسماً عربون « إلى البيرة والسلاح ، ثم استولوا على مدينة « يونان فو » حاضرة البلاد ، وصلى على دولتهم عدد ومحبوب ومحبهم تلك الأرض ثلاث عشرة سنة والصين لا يرداد أمهم إلا بعد أن لا قل لها معهم عصب الصب فالت إلى أعمال الخلة والمساكن ، وحادسهم ، ثم حال الرشوة ومنهم الأمان ، وأدرب عليهم العطايا الوافرة سرراً ، ووقتهم الأعمال المضرة حتى قصت عرى محادهم وحلب ، عشت سحر حادثة بجمعتهم ، من سقال من رؤسهم إلى أن وقفوا في صدها بقاتلون بنى منهم في صديهي أن تجعل بعد ذلك عصيتهم وتغسل ومهم ، وأن يرفع المسلمون منهم الانتقام حتى هلك منهم ثلاثون أهلاً بمجد السب ويطلق أقوام منهم عمكة برمايا .

أما في شمال الصين فاستطاع شرر الفسة سنة ١٨٦٠ وذلك في « هواشو » شرق « سيحان فو » وكانت الآثار على الصينيين وأنزهم المسلمون في كل سهل وحبل بقول ويسون ولستهم محروا من دخول « سيهان فو » ساعة أسوارها ثم امتد هب الثورة في تلك البلاد ونادى « نادى الإسلام بالقتال » فقاموا قسامة الرجل الواحد ومراهم والمول من أمهم ، وأهال المسلمون في أنزهم بشيوخهم شلاً ويستقصوهم أسراً وقتلاً ، واستأجروا ولايات « شاسي » و « كانسو » عباً ودماراً ، واتحوا الزعماء لك الكهوف والفانور ونزلوا أم ، منهم فلم تكن عاصيتهم ، واشتعل الحراب على تلك البلاد حتى لم يبق قرية إلا حوص على عروشها ، ولم يدر المسلمون إلا على المسجون ولم يبق عماراً من تلك المهابت إلا الأعمار بكيرة مما أدر عليها من سياج الأسوار ، وقدر عدد الذين « لوكوا » في هذه المنطقة ثلاثين . وحدث بين مؤرخي الأبرع أن من المسلمين من بلغ به الخلق أن قتل أولاده وامرأته تنور على جهنم والحسن أن هذه لفقة كانت من أكبر العتب واستمرت خمسة عشر عاماً كاد أن ينقطع أمل مسلمي

في خلاصها من استرداد البلاد ، ولكن لم تمت الشقاق أن دخل بين المسلمين فدخل عنهم الوهم ونشأت عصامهم بعدما قامت منهم حياكر الأمباطور واسترحمت « الناسي » ثم « السكاسو » ثم معانل « سان شان » وحدثت شتم الناس من الثوار في « حر » و « نارييا » وبسكهم لابرالون إلى الآن أهل صولة وشوكة وسأسهم في ازدياد وحدهم في صعود ، ومهم كثير من الحكام وقواد اعيش . وكبر من المؤرخين الأوربيين بطون أن لهم وحدهم مستقل السلطان في الصين .

وقد بنت الدولة الروسية مرة دتاً عظيماً حان في الصين وحاسه آفاقها واضع على دطائل أمورها فكان من حلة ما قرره تحدر لروسيا من مستقل الإسلام في تلك المملكة لأنه يمر وبقدم ، وإذا أخذ يوماً برمام الدولة طلب حلة الشرق الأقصى انقلاباً عظيماً ، لأن الصين إسلامية ليست كالصين وتلية (وأنتم الأعلمون إن كنتم مؤمنين)

أما حالة المسلمين الاجتماعية فهي كما هي في سائر بلاد الإسلام ، والعمل إلا هو بالشرح نشرهم على أن « بيرسان » يروي أن مسلمي الصين مضطرون في أمر بروج أن يتقيدوا بقانون بمسكة نصيبه وبو حالف الفرج ، ولا علم سلج ذلك من الصحة ، ويقول « أويون » إن الحجاب غير معهود عند النساء المسلمين في الصين ، بل النساء يخرجن سافرات ، وهكذا يقول « قره ناز » إلا أنه يستثنى من ذلك لساء الاعبياء يقول « هوشتم » يتنقيه النساء ملابسهن بثياب أسود تحب الأعمى . وعاده وضع اللطم في الفم لتعمره معروفة عند المسلمين كما عند سائر الصينيين وفي « كاسو » يناسب بها المسلمون أكثر من سواهم ، ويتزوج المسلم بالصينية بل يستحب أن يأخذ غير مسلمة لعل الله يشرح صدرها للإسلام ، ولكن لا يحمل لمسة أن تنزع غير مسلم ، ومع التشديد في منع ذلك يوجد حوادث مستتمة ، فإن الإمبراطور « شينج لونغ » كان متزوجاً بأمة تركية مسلمة أما اللمعة وطهارة العرض هما محفوظتان عند المسلمين أكثر مما هما عند سائر الصينيين .

واحترام الآباء والأجداد معروف عند مسلمي الصين ، وترأثم يحفظون شعرات الآباء كسائر أهل الصين ، ولا يوجد عدم نهوت في الطقات الاجتماعية إلا ما كان من تنظيم آت البيت وتبويرهم ، ولكن مسألة ادعاء نسب النوى عبر فاشيه هناك كما في سائر بلاد الإسلام لذلك كان عدد أصحاب هذه الدعوى قليل ، وكان منهم الزعيم الثائر « دهو الوونغ » . أما صحة مسلمي الصين فهي في عدالت كسائر أهل الصين ، ولما يجد فيهم الرأي كثيراً من السمات العربية والتركية بسبب المهاجرة ، وعلى كل حال فالسواد الأعظم من مسلمي الصين هم من السلالة الصينية ولهم دولة الصين وكتابهم من كتابة أهل الصين ، وإن كان يوجد في لجهه نطنهم ما لا يحلو به مكان من الاختلاف بحيث يعرف الصيني المسلم من الصيني الوثني من لجهته ، ولا شك أن اختلاف الدين أوحد بين نصيبي مسلم والصيني الوثني سدياً كبيراً ، فالمسلمون يرون أنفسهم أحراراً من الصينيين ، وعزلاء بلقون المسلمين باسم « حوى حوى » ، والمسلمون يكرهون هذا اللقب ويحذرون أن يقال لهم « ماى شان » أى أصحاب الدائم الصين .

و قد تردد ضهاؤهم عليهم في أد ، الزكوات فمعمولها في مناديب لكل بلد ، يقولونها
في شائهم ويسدون بها عور محاورهم فتجد المديين منهم قليلين ، ولهم بصهم على بعض حنان
ورأفة وحفظه في بيهم وعلى عدوهم لا توجد في الأمم التي تساكهم ، وكذلك يبيت تجارهم
الأدوي وأنواع السكرات نجد أحصاءهم أحسن من أحصاء غيرهم فهم يعرفون خبرهم الصين
سورة ومعنى

وجمع الصين هلك يعرفون عن سائر الأديان علائهم وشاراتهم ووجدت مدبرهم ويوح
عنهم من ادبره والأفقه مالا يوح على سواهم ، وكلهم من أهل السنة والجماعة ، ولكم في افقه
فتان الجملة والاشاعة ، وهم يكرهون حد الاحتلاط بالوثنيين ولا يزوجهم .

ومن عاده مسلمي الصين أن يشعروا أولاد الوثنيين ويربهم في الإسلام ، روى ذلك « بيرسان »
صاحب « عبيدية في الصين » و « غرونارد Grenard » ، وقاب بته « أولون » إنها
لما روت من هلك كانت في الصين بحصة شديدة فكان لعيونهم يعرفون أولادهم ويسمونه
بشعورهم لأنهم يسمونهم « بغير حال » من الصين ، وفي ثورة بوكسر قتل ألوف من المسيحيين
وثبت أمواتهم وبيت سائرهم وأولادهم فاشترى مسلمو « بيج هيا » عدد منهم ، وهذا يحق
لأن مطران معولية كان يبيع في استردادهم .

وحدثنا التقرير الآتي عن المسلمين في الصين :

يبلغ عدد سكان الصين ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة وتقدر احتمالها إلى ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ و١١٠,٠٠٠,٠٠٠
مربعا ، وبالصين ماريو على عشر مائات عدا القائل الخس النطس ، هان ، شانجوريان ،
موجولان ، تينان ، Weighours .

وفي الماضي كان المسلمون في الصين يصنعون أنفسهم في الخيل أربع بين القائل الخس النطس ،
ولكن بعد أن تلاثى شانجوريان والهان والموجوليان استقوا عن الصين ، وأصبح مسلمو الصين
لأن في الخيل ثلثي حسب تربيت سكان مما رادهم أهمية عند الصينيين .

وحسب الإحصاءات غير الرسمية ، يبلغ عدد مسلمي الصين الآن ٢٥ مليوناً وهم يسكنون الهان
ولأفراك وخيك ، وال Weighours وهكذا (ومعنى بى « باهان » أولئك الذين
اعتقوا الإسلام) .

وبها عدد المسلمين مهم في أواسط الصين Chue Maluind في أماكن متفرقة بصفة
في حياه البادية ، فإن غالبية المسلمين في الصين مشتقون في الغالب من ربي وى ودى النهر الأصغر ،
وهناك عدد لا بأس به يبيت في ودى نهر Yangtze أيضاً والأقلون يعيشون في
حوب الصين ،

وقد احتل مسلمو ال Mans Ch na Ma n and وحظوا شعابه مشابهة لهم وأصبح كثير

منهم من رجال الأعمال وموظفي الحكومة والمدرسين وكبار « الجواهرجية » بينما في الشمال الغربي كان المسلمين جيش كبير حطمته - للأسف - الحرب الأهلية بين الوطنيين والشيوعيين سنة ١٩٤٩ . وما تبقى من هذا الجيش مازال في الصين الآن تحت سلطان الشيوعيين ، ولم يعلم الآن أية تفاصيل عن حالتهم ، وقد احتفظ مسلمو الصين بسبب تميز أسلوب معيشتهم بمحضارتهم الخاصة وعاشوا محافظين على دينهم الخاصة .

وبهذه الطريقة احتفظوا بمعتقداتهم ولم تدبرهم قبائل الهان كما فعلت بسائر القبائل الصينية . وقد أصبحت المساجد مراكز لنشاطهم الديني والثقافي والاجتماعي . وقد خلت حركة المسلمين في الصين في خلال الثلاثين عاما الماضية خطوات تدريجية نحو التنسيق والتنظيم .

وقبل سنة ١٩٣٧ تأسس ناد إسلامي في المقاطعات المختلفة في وادي النهر الأصفر . وقد ظل نشاط هذه المؤسسة يمتد في مقاطعات ، الشمال الغربي ، كانسوا ، ينجشا ، شانغهاي حتى اكتسح الطوفان الشيوعي الصين وتراجع الوطنيون من أواسطها .

وحينما بدأت اليابان غزوها للصين سنة ١٩٣٧ انتقلت المنظمات الإسلامية مع الحكومة إلى الغرب . وقد حاصرت جمية « اتحاد الوطن الإسلامية » Wuhandi ناشدة جميع المسلمين في الصين أن ينضموا إلى أعمال المقاومة ضد اليابان . وفي خلال ذلك نظمت إرسالياتان شهيرتان (ستعمل الحديث عنها فيما بعد) وانخرط كثير من شباب الصين في الجيش . وقامت طلائع مسلمة كثيرة من الهجرة من مكان إلى آخر . وقد فقدوا أملاكهم وقدموا أرواحهم وبذلوا كل ما في وسعهم لدعم حكومتهم . ولم يكن المسلمون أقل إلهاماً لوطنيتهم من الـ Hsna . وقد قاموا بدور هام في خدمة بلادهم ونظموا أعمال الإسكان والتجدة للاجئين ، وبذلوا جهوداً جارية ليحصلوا المواد الغذائية في متناولهم .

وقد بددت جماعات المواصلة إلى المستشفيات تحت إشراف الفتيات المسلمات العناية بالجرحى من الجنود .

وحينما استسلم اليابانيون سنة ١٩٤٦ أصبحت جمية « اتحاد الوطن الإسلامية » جمية مسلمي الصين . واستقرت في تانكين . وانتقلت الآن إلى Taipei ، وفورموزا مع الحكومة الوطنية .

ورأس جمية مسلمي الصين فيلثوال « عمر بن الخطاب شويج شى » ويمثل منه بمجد كثير من كبار المسلمين .

التنظيم الإسلامي في الصين ؟

وتتمركز الثقافة الإسلامية غالباً في المسجد . فيجمع إمام المسجد بعض الطلاب ويشرح القرآن والعلوم الدينية .

وقد أسس مدرسة شينج طاه نورمال الإسلامية في Peping (ويسمى في الصين بالـ halifais) الإمام الشهير الحاج عبد الرحمن ماسويج تنج . وتهدف إلى تربية الشباب ليصبحوا مدرسين وأئمة وقد أسس في شاسجهان مدرسة إسلامية عليا ، الإمام طاه يوش . وتنتشر المدارس الإسلامية هنا وهناك في المدن والبادر التي يسكنها المسلمون .

و يوجد أكثر من عشرة تراجم للقرآن الكريم ، ولكن أدتها وأصحها ما وضعه الإمام الأعظم « وانج تشنج جيه » .
وتقوم جمعية مسلمي الصين بإرسال الطلبة المسلمين لدراسة في الخارج خاصة في مصر للاتحاق بالجامعة الأزهرية لدراسة العلوم الدينية ، و قليل منهم قد أرسلوا إلى تركيا للاتحاق بالأكاديمية العسكرية هناك .

مسلمو الصين بر السياسة :

وما يستحق الذكر أن بعض مقاطعات العمال القوي مثل « كانسو » و « نينجشا » و « شانغهاي » هي تحت سلطة المسلمين الكاملة .
والحكام دائماً ينتمون إلى أسرة « ما » . و ٩٠٪ من سكان هذه المقاطعات وكذا سكان مقاطعة « تشكين » من المسلمين .
وهناك عدد لا بأس به من المسلمين يعملون مع الحكومة المركزية .

مسلمو الصين والأمر العسكري :

ونظراً لشجاعة مسلمي الصين فقد أصبح من بينهم كثير من الجفرالات مثل « عمر باي شونج شي » و « ماو فاج » و « ما جي يوان » و « ماو نغ كيه » و « ماو شيان » و « ما لين » الخ .

مسلمو الصين والشؤون الدبلوماسية :

وأشهر الشخصيات الدبلوماسية الإسلامية الحاج إبراهيم ت . ي . ما . الذي أرسلته الحكومة الوطنية للاستقرار في القاهرة لثلاث سنوات كسكرتير لوزير من سنة ١٩٤٣ وكقنصل للدلايو سنة ١٩٤٨ . وأثناء الحرب الصينية اليابانية نظم بعثتين Goodwell mission كانت أولاهما في سنة ١٩٣٨ ، وكان يرافق الحاج « ما » فيها أربعة آخرون أدوا فريضة الحج واجتمعوا بمئات الآلاف من مسلمي العالم وقاموا بدعاية كبيرة ضد المدوان الياباني وكسبوا إعطاف المسلم الإسلامي ، وبعد الحج طافوا بمصر وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق وتركيا وإيران والهند ، ولافت رحلتهم نجاحاً موفقاً ، أما البعثة الثانية فقد كانت إلى أرخبيل البحار الجنوبية (Archipelags) فاخترقت الملايو وشمال بورنيو ولافوا نجاحاً متقطع النظم ، وقد تبرع الصينيون فيها وراء البحار بما يزيد على ٨٠٠.٠٠٠ دولاراً صينياً وكية كبيرة من الأدوية للحكومة الصينية مساهمة في حربها ضد اليابان .

حركة الشباب المسلم :

كانت هناك جمعية للشباب المسلم تعمل تحت إشراف جمعية مسلمي الصين ، كما أن هناك اتحاداً لطلبة المسلمين في المدارس العليا والجامعات قطعه السيد شمس الدين تونج في كل من « شونج كنج » و « شانغهاي » .

في أفق العالم الإسلامي

داري النيل :

تصل إلى القاهرة في الأسبوع الأول من هذا الشهر بعثة سودانية تمثل سيادة عبد الرحمن المهدي باشا لمباحثة دولة نجيب الحلال باشا رئيس الوزارة المصرية امله يكون من وراء ذلك تفاهم على ما يعود على الوادي كله بالخير . ونحن وإن كنا لا نزال نجهل حقيقة الظروف التي اكتشفت هذه الزيارة سواء في الخرطوم أو في القاهرة إلا أننا نرحب بها ونرى فيها خطوة طيبة يمكن أن تختصر بها الطريق . وإن أقل ما نستطيع أن نتجبه من مثل هذه الزيارة هو إزالة الهم من أنفس إخواننا الانفصاليين في الجنوب حين يرون العاطفة الصادقة التي يشعر بها المصري نحو أخيه السوداني ، وحين يطهشون إلى الأساس الذي يقوم عليه إيماننا بالوحدة الطبيعية وسعيها من أجلها . وهذا اللقاء الطائفي والطمشان لإخواننا دعاة الانفصال في الجنوب على سلامة الأساس الذي تقوم عليه الوحدة في أنفس المصريين هو الحل الطبيعي للعقدة التي لم يزلها البريطانيون منذ دخلوا السودان إلا تعقيداً ، والتي غفل الحكام المصريون المتعاقبون من معالجتها بالاتصال المباشر بدلاً من الوساطة المسمومة ، وأحملوا — إجمالاً شديداً — الاستفادة من حقهم المتور بحقن الحكم الثاني ليقبوا على نافذة مفتوحة يدخل منها النور والهوام على قضية الوحدة .

ثم إن في هذا اللقاء قرينة تتجاوب فيها الأنس بالعناصر الأصلية التي تقوم عليها وحدتنا : فإننا أمة ذات لغة واحدة ومصالح مشتركة لا تغفل ، وأهم من هذين وقبلهما وبسببها أخوة الإسلام ورايعة ، فنعن مسلمون : ربنا واحد ، وكتابنا واحد ، وديننا واحد ، وقبلتنا واحدة ، والتناصر بيننا أمر يقتضيه إيماننا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمنون مدلول تشكافاً دماؤهم ياضى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » . وجيل أن يكون هذا اللقاء في رمضان فلامه بشأته ونفعاته أفضل من انبعاث معاني الأخوة والتكبر بها .

وتستطيع الحكومة المصرية — على كل حال — أن تستفيد من هذه الزيارة من حيث دراسة الظروف التي تحيط بقضية الوحدة عن قرب ، فتلها بذلك تعرف أخطاءها وتذكر الأساليب التي يكاد لها بها ، فتختصر الطريق على نفسها إن كانت جادة غير هائلة .

مؤتمر الشعوب الإسلامية :

انتهت جلسات مؤتمر الشعوب الإسلامية الذي دعا إليه شوقي خليف الزمان في كراچی واتخذ المؤتمر قرارات كثيرة ، منها قرار بتأييد مصر وشعوب شمال أفريقيا في قضائها لنيل مطالبها ، وتحرير المسلمين من رقة الاستعمار في كل قطر ، وشكر الحكومة الباكستانية على تأييدها للقضايا الإسلامية ، ومنها قرار غاس فلسطين جاء فيه :

١ — يقرر مؤتمر الشعوب الإسلامية أن قضية فلسطين هي قضية للمسلمين كافة ، وأنه يجب دفع الخطر المحدق بالمسجد الأقصى وما حوله من ديار مباركة ، ولا يترقب المؤتمر بالأوضاع العدوانية القائمة الآن بالأراضي الفلسطينية المقدسة ، ويعلن وجوب تحرير فلسطين جميعها من كل سيطرة

صهيونية أو استعمارية ، وإعادة أهلها إليها من المسلمين والعرب ، وتسليم ممتلكاتهم ومقدساتهم إليهم عملاً بميثاقهم العائلي ، وطبقاً لحقوق الملكية الفردية وميثاق حقوق الإنسان والقانون الدولي .

٢ - يقرر المؤتمر معارضة أي صلح أو تسوية مع ما يسمى حكومة إسرائيل ، ووجوب التشدد في مقاطعتها مقاطعة تامة شاملة ، ومطالبة جميع الشعوب والدول الإسلامية بتنفيذ ذلك بكل الوسائل .

وقد أصدر المؤتمر قرارات أخرى أهمها :

١ - تمكين العقيدة الإسلامية في قوس المسلمين كافة ، وتثبيتها بالأخلاق الفاضلة ، وإقامة مرافق حياتهم على مدى قواعد الإسلام .

٢ - تحرير الشعوب الإسلامية سياسياً واقتصادياً من السيطرة الأجنبية ، وتجميع قواها وسائر مواردها لحرب شمولها ودولها .

٣ - رفع المستوى الأدبي والهادي للأفراد في البلاد الإسلامية ، وكفالة حقوقهم الاجتماعية والسياسية ، والعمل على إقامة وتوطيد العدالة الاقتصادية بين الشعوب طبقاً لمبادئ الإسلام ، ولتعزيز الثقافة الصحيحة بينهم .

٤ - التوسع في تعلم اللغات المختلفة لبلاد الإسلامية لتيسير سبل التفاهم بينها ، والحش على تدريس لغة القرآن لشعوبها ، لأنها لغة دينهم ويتحتم على كل مسلم أن يلم بها .

٥ - تقوية الروابط الاقتصادية والاجتماعية والأدبية بين البلاد الإسلامية .

ونحن نرجو أن توضع هذه القرارات كلها موضع التنفيذ وأن تتوفر لنتيجة المؤتمر الجديدة أسباب ذلك .

أخبار متفرقة

■ صرح المورد بالسكروك عضو مجلس العموم البريطاني بأن النواب « يلهون » في الجلسات المبائية مع « النائبات » .

■ كتب كبير أساقفة تولوز يفران في إحدى المجلات يقول : « إن اجتماع البنات مع البنين في المدرسة هو السبب الأول في الانهيار الخلوي في أخلاق الشبان الفرنسيين » .

■ قال المتحدث بلسان وزارة الخارجية الإيرانية : إن السفير الروسي في طهران قد زار السيد كاظمي وزير خارجية إيران ، وأكد له أن القاضي الروسي في محكمة العدل الدولية بلاهاي سيؤيد إيران ضد إثارة قضية النزاع بين إنجلترا وإيران الخاصة بالبتروول ، وأذاع مجلس الوزراء أن الانتخابات الخاصة بالبرلمان الإيراني أوقفت في ٣٠ دائرة حتى يعود الدكتور مصدق بعد عرض القضية في محكمة العدل ، وذلك تبعاً لما قد يحدث من اضطرابات في الوقت الذي تعرض فيه القضية . وشاع أن الدكتور مصدق سيأقبل بعد عودته لأنه يعتقد أن مهمته قد انتهت .

■ انتهزت السلطات البريطانية في عدن فرسة خلاف وقع بين السلطان وبعض أقاربه واحتلت مملكة « لحج » بدعوى المحافظة على الأمن ، وقد اندلعت المظاهرات إلى الحرب والانجلاء إلى اليمن .